

المكتب 17
إدارة المهام الخاصة
روايات مصرية للجيب
8
Looloo
www.dvd4arab.com
عملية
فوق السحاب
طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

مقدمة

قليلون هم الذين يعيشون تلك الحياة المفعمة بالحركة والإثارة، المحفوفة بالمخاطر والأشواك، من شرك إلى مصيدة، ومن موت إلى موت ..

قليلون هم الذين يهوون الحياة فى قلب الجحيم، حيث الهلاك هو اسم اللعبة، وحيث الدهاء هو الطريقة الوحيدة لكى تلعبها، فإما النصر، وإما القتال حتى النفس الأخير ..

قليلون هم الذين حملوا قلوبهم الفتية على أكفهم، وألقوا بأنفسهم فى دوائر النهاية دون لحظة تردد واحدة ..

قليلون هم، ربما تبلغ ندرتهم حد أن يمضى بنا قطار العمر دون أن نشهد أحدهم ولو بالصدفة، لكنهم دومًا موجودون من حولنا، يبنون مجد أوطاننا بدمائهم وأرواحهم، ويحرسون أيامنا

وأحلامنا من أنياب وحوش الغاب الضارية، ومن هؤلاء الذين لا هَمّ لهم إلا أن يطلوا جدران غدنا بالسواد القاتم ..

و (عمر زهران) هو أحد هؤلاء القليلين ..

إنه بطل آخر ممن تزخر بإنجازاتهم ملفات الوطن، وهو من سيرافقنا عبر روايات هذه السلسلة الجديدة بإذن الله ..

من هو؟ كم عمره؟ أين ومتى وكيف ولماذا .. إلخ؟ كلها أسئلة ستجيب عن نفسها بنفسها خلال الصفحات القادمة، كل ما يهمنا معرفته هنا أنه إنسان، مثلى ومثلك ومثلنا جميعًا، له من العيوب قدر ما له من المزايا، لكنه فى النهاية يحمل قلبًا عاشقًا للوطن، والأرض، والناس ..

يهمنا كذلك أن نشير هنا إلى تلك الهيئة الأمنية الحديثة التى نشأت على أرض (مصر) بقدر رئاسى،

وهى هيئة ذات سلطات غير محدودة ، مهمتها التعامل مع القضايا ذات الطابع الخاص ، المحاطة بأعلى قدر من السرية ، والتى تتطلب كفاءات رفيعة المستوى للتعامل معها ..

هيئة تعرف باسم (المكتب ١٧) ..

محمد سليمان

١ ـ اختطاف ..

منتصف الليل تمامًا فى (ميناء القاهرة الجوى) ..

الركاب متناثرون بلا نظام فوق مقاعد صالة المغادرة ، هدوء نسبى مقارنة بزحام النهار الخانق ، خاصة مع بشائر حرارة الصيف القاهرى التى تبدأ فى الإعلان عن نفسها بقدوم شهر (مايو) ، ضباط أمن بوابة الدخول ما بين متثائب وناظر فى ساعته وفارك عينيه الحمراوين بعد يوم طويل ومرهق من العمل الممل ..

نظر أحدهم فى دفتر جواز السفر ذى الغلاف الأخضر ؛ بالنسر الذهبى الشهير المرسوم فوقه ، ثم رفع عينيه إلى الرجل الواقف أمامه ، بقامته الطويلة ، وبشرته السمراء ، وشعره الطويل المثبت بزيت لامع ، والمنظار الشمسى ذى العدسات الحمراء ، الذى طابقت هيئته الصورة داخل الجواز إلا قليلاً ، وسأله بطريقة روتينية :

ـ طائرة (نيويورك) ؟!

هز الرجل الذى أشارت ملامحه إلى تجاوزه الثلاثين بعام أو أكثر رأسه أن نعم ، فناوله الضابط جواز سفره ، وأشار إلى جهاز الفحص بالأشعة التلفزيونية إلى جواره قائلاً بنفس اللهجة الروتينية التى لا تحمل انفعالاً :

ـ ضع حقيبتك هنا من فضلك ..

امتثل الرجل بكل هدوء ، ووضع الحقيبة السوداء الوحيدة التى يحملها لتمر فوق السير المتحرك أسفل جهاز الكشف ..

عقد الضابط حاجبيه متعجبًا عندما كشفت الأشعة عن وجود مضرب للتنس ، وبعض الكرات الصغيرة وسط الملابس والمتعلقات الأخرى ، ولكز زميله فى كتفه مشيرًا للحقيبة التى ارتسمت صورة ملونة لمحتوياتها على شاشة المراقبة ، فابتسم الأخير وهمس :

ـ لله فى خلقه شئون !

ـ صدقت !

هز الضابط كتفيه وأشار للرجل بعبور بوابة الأمن ، وعندما فعل الرجل دون أن تصدر أجهزة الكشف أى صفارات ، لاح على شفتيه شبح ابتسامة باهتة جدًا ، سرعان ما اختفى وهو يحمل حقيبته ويذهب نحو صالة الجوازات دون أن ينطق بحرف ..

ـ كأنه ذاهب لنادٍ رياضى ، لا مسافر عبر المحيط !

تمتم بها الضابط لنفسه وهو يتابعه ببصره ، ثم التفت متابعًا عمله الروتينى مع بقية الوقوف فى طابور المسافرين ..

فى صالة الانتظار جلس ، وضع حقيبته بجواره وحدق بعينيه فى أحد الواقفين أمام ضابط الجوازات ، نحيل للغاية وأشقر للغاية ويرتدى سروالاً قصيرًا و(تى شيرت) وتستقر كاميرا (كوداك) على صدره ، مما جعله صورة مكررة للسياح الذين نراهم كل يوم فى المتاحف والمزارات ..

تنهد فى راحة بعد إذ رآه ومال بظهره مستندًا إلى المقعد ، لكنه شعر بمن يجذبه من سرواله فانتفض فى جلسته ، لكن .. لم تكن سوى ..

ـ (ندى) .. عيب !

.. طفلة صغيرة لم تتجاوز الأربعة أعوام !

ـ معذرة يا سيدى ، إنها طفلة شقية كما ترى ..

قالها رجل أصلع ، مكتنز ، يرتدى حلة كاملة ، لايفصل بينهما إلا مقعد واحد شاغر ، وبجواره زوجة شابة محجبة ، هرعت من فورها لتحمل الطفلة بعيدًا عنه ..

حاول أن يبتسم ، لكن محاولته باءت بالفشل وهو يقول مهونًا :

ـ لا عليك يا سيدى ..

بكت الطفلة عندما حملتها الأم بعيدًا عنه ، وظلت تردد بلغة طفولية محببة أنها تريد اللعب مع (عمّو) !!

ـ الأطفال دومًا مزعجون هكذا ..

قالها الأصلع باسمًا فلم يرد ، وفكر فى أن يعود ليسبح مع أفكاره من جديد ، عندما اقترب منه الأول محتلاً المقعد الشاغر بينهما ، سائلاً إياه كمن يريد مد جسور من الود :

ـ أأنت مسافر معنا على طائرة (نيويورك) ؟!

يكره التواصل الإنسانى ، لكنه لم يجد بدًا من أن يجيب باقتضاب :

ـ أجل ..

ـ هجرة ؟!

ـ تقريبًا !

ـ سبقتك بالهجرة منذ زمن .. كان لى أقرباء هناك فالتحقت بهم ..

قال وهو يتنهد :

ـ نعم ..

صمت ، لعله فهم أنه لايريد أن يتحدث مع أحد ، أو لعله فهم أنه فقط لايريد التحدث فى أمور شخصية ! ، فى جميع الأحوال ها هو قد صمت وأخرج جريدة دفن فيها رأسه الأصلع !

هل ينهض الآن ؟!

فكر فى أن يفعل ، غير أنه قرر أن تمتد جلسته قليلاً عندما رأى شخصًا ضخم الجثة إلى حد العملقة ، تحتل وجهه لحية شقراء كبيرة ، ويرتدى ملابس ضيقة بلا أكمام جعلته أشبه بأبطال المصارعة الحرة العالمية ..

تحاشى أن يتبادل معه أى نظرات ، برغم أنه ـ الضخم ـ غمزه بوضوح ، فدمدم بغضب لاعنًا غباءه ـ غباء الضخم ـ فى سره ..

ـ الأشغال الشاقة المؤبدة فقط ؟!

هتف بها الأصلع الجالس بجواره فى استنكار ، فالتفت الرجل نحوه بعينين تتساءلان ..

ـ .. إنه يستحق الإعدام شنقًا ثلاث مرات على الأقل !

وإذ شعر الأصلع بالسعادة لنجاحه فى جذب انتباه محدثه ، قال مفسرًا وهو يشير للمانشيت الأحمر الكبير الذى يكلل هامة صفحة الحوادث :

ـ أعنى هذا الجاسوس الملعون الذى باع لحم بلاده فى السوق بأبخس الأثمان ...

تعلقت عينا الرجل من خلف عدسات منظاره الأحمر بالمانشيت :

« الأشغال الشاقة المؤبدة للجاسوس (منير المناديلى) »

فى حين استطرد الأصلع مستنكرًا ومشمئزًا :

ـ لقد اعترف بكل وقاحة وصلف ، وتوعد فى ساحة المحكمة الجميع صارخًا بأن الأوغاد أبناء صهيون لن يتخلوا عنه ، ولن يتركوه ! ، أى عنجهية كاذبة .. بل قل أى خيانة .. وأى دم نجس يجرى فى عروق هذا المخلوق المجرد من أى إحساس وطنى أو إنسانى .. لولا براعة المحامى اللعين المأجور وتلاعبه بثغرات قانونية خرقاء لما نجا الزنيم من حبل المشنقة ..

فى ثبات ظل الرجل يحدق فى المانشيت ، وفى الصورة أسفله ، التى يظهر فيها الجاسوس وهو يصرخ فى هيستيريا داخل قفص الاتهام بعد أن تم نطق الحكم ضده .. وواصل الأصلع حديثه بكل أريحية :

ـ لقد جلب لنا العار جميعًا كمصريين نعشق تراب هذه الأرض .. ربما تضطرنا الظروف أحيانًا لمغادرتها من أجل لقمة عيش فى مكان آخر ، لكن مهما ابتعدنا يظل الوطن عشقًا أبديًا فى القلب والعقل والروح والوجدان .. تُرى ، وهذا إحساسنا جميعًا الآن ، كيف يشعر أهله وذووه المقربون ؟! وكيف يتعاملون مع الأمر وقد ألحق بهم وباسمهم العار والشنار الصريحين ؟! هذا الـ ...

وقبل أن يكمل ، انتفض الرجل واقفًا فجأة ، وحمل حقيبته مهرولاً نحو دورة المياه ..

ـ أصابته ثرثرتك المتواصلة بالصداع لاريب ..

قالتها الزوجة الشابة فى لوم ، غير منتبهة لطفلتها التى انزلقت من بين يديها ، فقال الزوج وقد تابعه ببصره حتى اختفى خلف الجدار :

ـ بل قولى إنه لم يحتمل هذا الخبر ..

والتفت إليها متابعًا :

ـ هناك أناس يتمتعون بنقاء داخلى يجعلهم عاجزين عن تصور وجود كل هذا الشر فى عالمنا .. لابد أنه واحد من هؤلاء ؛ أراهن أنه منهم ..

وانتبه فى اللحظة التالية لصغيرته التى تعبث بجهاز صنع القهوة القريب ، فهتف بها وهو يهرع إليها :

ـ (ندى) .. تعالى إلى هنا ..

وداخل دورة المياه الخالية إلا منه ، خلع منظاره ذا العدسات الحمراء ، وأخذ يحدق فى انعكاس وجهه على المرآة الكبيرة ، وأعماقه تغلى بالسخط والغضب والرفض ، حتى رفع قبضته فى النهاية وهوى بها فوق المرآة ..

ـ أوغاااااد ..

وتحطمت المرآة لتمتزج شظاياها بدمه الذى سال ، فى نفس اللحظة التى انفتح فيها الباب من خلفه ، ليظهر رجل زنجى مفتول العضلات ، أصلع الرأس ، يلوك قطعة من اللادن ، ويرتدى بنطالاً وسترة من الجينز الأزرق ..

وتلاقت عيناهما لفترة طالت ..

* * *

جلس السفير المصرى فى (واشنطن) على أريكة وثيرة من أرائك قاعدة كبار الزوار، مراقبًا الطائرة المصرية الرابضة فى سكون عبر الواجهة الزجاجية العريضة، والتى سيستقلها بعد أقل من ساعة فى طريق عودته إلى مقر عمله بالولايات ..

ـ سيادة السفير ..

رفع عينيه إلى سكرتيرته ذات الملامح الجادة والملابس البسيطة، وتابعها إذ جلست بجواره وهى تشير إلى شاشة حاسبها الآلى النقال قائلة بصوتها الرخيم :

ـ المزيد والمزيد من فيضانات البريد الإليكترونى الأسود على كل العناوين الخاصة بكبار العاملين فى السفارة، خاصة عنوانك أنت ..

عقد حاجبيه سائلاً :

ـ نفس الفحوى ؟

أجابت وهىَ تهز رأسها بالإيجاب :

ـ مع تغييرات طفيفة .. جميعها تصب فى مجرى التهديد المبهم ..

ـ ترى .. ماذا قد يعنى هذا ؟

سأل مغمغمًا وهو يستغرق فى التفكير، فأجابت من فورها :

ـ لايوجد فى أى منها تصريح مباشر بمطلب محدد ..

ـ هل أبلغت الخارجية ؟

ـ فور ورود الرسالة الأولى، سيد (عادل) ..

ـ وبِمَ ردوا ؟

ـ توصية بالهدوء وضبط النفس، وقاموا بإبلاغ مكتب التحقيقات الفيدرالية فى (واشنطن) ليتحروا الأمر من جهتهم هنالك ..

سألها عاقدًا ذراعيه أمام صدره :

ـ لاشىء عن المصدر ؟

ـ بالطبع لا ..

وأردفت :

- الأمر سوف يستغرق وقتًا ، وبخبرتى التكنولوجية المتواضعة أستطيع القول إن المرسل أخفى هويته ببراعة ، لكن هذا لايعنى بالضرورة أن الرسائل تشكل خطرًا حقيقيًا .. ربما لايتعدى الأمر فى النهاية كونه عبث صبية يهوون إثارة الرعب على الشبكة ..

زفر السفير فى ضيق ، ثم قال :

- أيًا ما يكن الفاعل يا عزيزتى (مى) ، فقد نجح فى إفساد متعتى بإجازتى القصيرة على أرض الوطن ..

أغلقت (مى) الحاسب الآلى النقال ، وقالت بلهجتها التقريرية العلمية الجوفاء :

- هناك أقاويل تتردد فى الخارجية عن ورود مثل هذه الفيضانات البريدية إلى عدد من الهيئات الأخرى هنا فى (مصر) ، الخارجية نفسها والمخابرات العامة وجهات أمنية عليا مثل (المكتب ١٧) ، لكن لاشىء مؤكد بعد .. لقد بدأت الرسائل تملأ الصناديق منذ ساعات قلائل ، وقد تجاوزنا منتصف الليل بقليل الآن ..

لن يمكننا التأكد من شىء قبل أن تشرق شمس النهار القاهرية على الأقل ..

تنهد السفير بعمق ، وعاود النظر إلى الطائرة الرابضة ؛ تتبدى من خلفها ظلمة الليل العميقة فى جلاء ، ثم غمغم مستشعرًا خطرًا مجهول الهوية :

- لندع اللّه أن تمر الساعات القادمة فى سلام يا عزيزتى ..

* * *

- (عزت عامر المناديلى) ؟

سألت موظفة الجوازات التى ترتدى زى شركة (مصر للطيران) المميز ، فأجابها الرجل ناظرًا نحوها من خلف عدسات منظاره الأحمر :

- أجل .. أنا هو ..

بدت هيئته مألوفة لها ، لكنها لم تتذكر متى رأته ولا أين .. إنها ترى مئات الأوجه يوميًا بحكم عملها لذا لم تلق للأمر بالاً ..

- هجرة ؟

سألته ناظرة فى التأشيرة المستقرة على صفحة من صفحات جواز السفر ، فأجاب دون أن يبادل بسمتها المهنية بشىء غير التجهم والاقتضاب :

ـ أجل ..

ـ ألا تحمل أمتعة ثقيلة ؟

ـ لا شىء سوى حقيبة اليد هذه .. سأحملها معى على متن الطائرة إن لم تكونوا تمانعون ..

قالها رافعًا حقيبته السوداء أمامها ، فهزت رأسها أن لامانع ، وأخذت تنهى إجراءات سفره بسرعة تعودتها مع الزمن ، متجاهلة دهشتها من هذا المهاجر الغريب الأطوار ؛ الذى يهاجر مصطحبًا حقيبة يد واحدة فقط ..

ـ رافقتك السلامة يا سيد (عزت) ..

ناولته الجواز ، فتناوله منها بيد تغطيها ضمادة كبيرة تشربت الكثير من الدم ، وابتعد عنها دون حتى كلمة

شكر ، بينما عاودها السؤال عن هيئته المألوفة ؛ بل واسمه الأكثر ألفة ، لكنها نسيت كل هذا عندما تسلمت جواز المسافر التالى ..

لو أنها فقط ألقت بنظرة على الجريدة الملقاة بجوارها ، تلك المفتوحة على صفحة الحوادث ، بالمانشيت الأحمر الكبير الذى يكلل هامتها ، فلربما أدركت سر الاسم المألوف ..

ولو أنها ألقت بنظرة على الصورة أسفل المانشيت ، فلربما أدركت بشىء من دقة الملاحظة سر الهيئة المألوفة ..

لربما !

* * *

دلف عبر الباب الذى تقف أمامه مضيفة حمقاء باسمة إلى داخل الطائرة التى بدأت محركاتها فى الهدير ، سار فى الممر الضيق عبر المقاعد حتى وجد رقم المقعد المطابق للرقم المدون فى تذكرة السفر ، جلس واضعًا

الحقيبة السوداء أسفل قدميه ، وتجاهل النظر إلى الضخم ذى اللحية الشقراء الذى غمزه مجددًا من مقعده الكائن أمامه ببضعة صفوف ، لعنه فى أعماقه مرة أخرى وحول بصره فرأى الأصلع الأنيق يشير له مبتسمًا ، تجاهل بسمته وأراح ظهره فى المقعد الواسع محدقًا فى السقف ..

ـ أهى رحلتك الأولى لـ (أمريكا) ؟

أدرك أن حظه العاثر لن يتركه مستمتعًا بالسكون ، فالتفت إلى المتحدث الجالس بجواره ؛ شاب له جسم رياضى وشعر مصفف على طريقة (سبايكى) ، وعينان متحمستان ..

ـ أجل ..

أجابه باقتضابه المعهود ، لكن الفتى فيما يبدو كان أميل للثرثرة شأن أغلب المسافرين بمفردهم كسرًا لحدة الرهبة ..

ـ إنها رحلتى الأولى أنا أيضًا .. لكم أنا متحمس لرؤية

هذه البلاد .. أتعلم ؟ يقولون إن العمل هناك سهل وميسر للغاية ..

ـ ليس دائمًا ..

ـ هذا أفضل من أن أظل بلا عمل .. وأفضل قطعًا من الطريق الذى سلكه جاسوس وغد مثل (المناديلى) ..

اشتعلت عيناه بنيران لم يلحظها الفتى ، الذى استمرَّ يثرثر ، فى حين حدق هو فى الزنجى المفتول العضلات والأصلع الرأس الذى عبر الممر بجواره دون أن تتلاقى عيونهما ..

ـ .. هل علمت أن الحكم قد صدر عليه ظهر اليوم بالأشغال الشاقة المؤبدة ؟

وهناك ، وفى مقعد بعيد ، لمح النحيل للغاية ، الأشقر للغاية جالسًا يجرع المياه الغازية من علبة ، ثم ينهمك فى العمل على حاسب آلى نقال بعد أن تجشأ ..

ـ .. لو كنت مكان القاضى ، لحكمت عليه بالإعدام رميًا بالرصاص فى ميدان (التحرير) ليكون عبرة لمن يعتبر ..

كل شىء على ما يرام ، ها هى أبواب الطائرة تغلق ، والمضيفات الحمقاوات يتخذن أماكنهن ، ورجال الأمن الأربعة يجلسون فى أماكنهم المحددة ، منها مكانان للتمويه كأنهما راكبين عاديين ، وها هو ذا قائد الطائرة يتحدث ..

ـ كابتن (جميل طايع) يتمنى لكم رحلة سعيدة ، برجاء ربط الأحزمة والامتناع عن التدخين ..

وها هى ذى كبيرة المضيفات تؤدى حركاتها التمثيلية لكيفية التصرف فى جميع حالات الطوارئ الممكنة ، وها هو ذا الإقلاع قد تم يصاحبه الصفير المعتاد فى الأذن نتيجة لانخفاض الضغط الجوى ..

وحلقت الطائرة ـ بعد ما يقرب من الساعة ـ كعصفور فوق السحاب ..

أطفئت لوحات التدخين والأحزمة ، وبدأت العروض الترفيهية على الشاشة الكبيرة أمام الركاب ، وبدأ السكون يسود بعد أن أخلد الغالبية العظمى منهم للنوم ؛ مع حلول الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ..

نظر إلى جواره ، حتى الفتى المتحمس نام ، لابد أنه يحلم بـ (أمريكا) الآن ..

الآن تبدأ المهمة ..

الآن ..

تبادل نظرات سريعة للغاية مع النحيل ، ثم الضخم ، ثم الزنجى ..

خلع ساعة معصمه ، فك أجزاءها ثم انحنى يفتح حقيبته السوداء ..

بمنتهى الهدوء قام بفك ذراع مضرب التنس ، وبمنتهى المهارة قام بتوصيل أجزاء الساعة بمناطق معينة فى الذراع ..

نهض ، وأخرج من جيبه علبة سجائر بريئة المظهر ، ومنها أخرج بعض الأجزاء الصغيرة التى سرعان ما وجدت أماكنها على امتداد نفس ذراع ..

بعدها قام بفك إحدى كرات التنس ، وقام بتركيب ما بداخلها فى أماكن أخرى ..



قـالهـا (عـزت المنابيلى) لرجل الأمن الواجم ، ثم أطلق بضع رصاصات فجرت الدماء من رأسه ..

وبعد عدة عمليات معقدة من هذا النوع ، أصبح بين يديه مدفع رشاش معبأ بالذخيرة ..

ثوان معدودة ، تبودلت فيها المزيد من النظرات بين الرجال الأربعة ، ثم نهضوا أخيرًا فى تزامن مدروس ، وكل منهم يحمل فى يده مدفعًا رشاشًا مشابهًا ..

لم ينتبه أغلب الركاب النائمين لقيامهم المنظم ، وحتى رجال الأمن ظنوه أمرًا عاديًّا ، حتى فوجئ كل منهم بمن يقف أمامه شاهرًا فوهة المدفع ..

- لاتخش شيئًا يا سيدى .. إنه محض اختطاف ..

قالها (عزت المناديلى) لرجل الأمن الواجم ، ثم أطلق بضع رصاصات فجرت الدماء من رأسه ، وتبعه الرجال الثلاثة ، لتغرق الدماء أركان الطائرة ..

وفى حين توجه (عزت) نحو كابينة القيادة بسرعة ، انتبه بعض الركاب المستيقظين لما يحدث ، فعلت صيحات الذعر ، وساد الاضطراب الذى جاهد الخاطفون الثلاثة - الباقين بين الركاب - للسيطرة عليه ..

ومع استيقاظ البقية النائمة ، ازداد الهرج والمرج ، وعلت صيحات الذعر أكثر داخل الطائرة المصرية ..

المحلقة كعصفور فوق السحاب ..

★ ★ ★

٢ـ قضية رأى عام ..

رنين الهاتف المحمول المتواصل أمر مزعج ، حتى لو كانت النغمة خاصة بأغنية (جبار) لـ (عبد الحليم حافظ) !

ـ آلو ...

نطق بها (عمر زهران) بصعوبة ، وهو يضغط زر قبول المكالمة دون أن ينظر فى رقم المتحدث ، ودون حتى أن يعتدل فى فراشه ..

ـ الآن ؟!

قالها بمنتهى الضيق ، الذى تحول إلى اهتمام واحترام جعلاه يعتدل فى فراشه ويمسح بكفه على رأسه الحليق هاتفًا :

ـ (الصقر العجوز) بنفسه ؟!

استمع لكلمات الطرف الآخر هنيهة ناظرًا فى الساعة الرقمية المضيئة على الخوان المجاور ؛ والتى أشارت إلى (٢٦ : ٥) فجرًا ، ثم أومأ برأسه ـ كأن محدثه سوف يراه ـ وهو يقول مستجمعًا نشاطه :

ـ لابأس .. لابأس .. سأكون عندكم بأقصى سرعة ..

واستعد لإنهاء المكالمة ، لكن الطرف الآخر كان لديه فيما يبدو المزيد من الحديث ..

ـ ماذا ؟!

ند الهتاف عن (عمر) بقوة ، تبعه قائلاً فى حماسة :

ـ على الرحب والسعة بالطبع .. إلى اللقاء !!

وقفز من فوق السرير مستعيدًا كل حيويته فجأة !

عندما أشارت أرقام ساعة معصمه إلى (٤٦ : ٥) ، توقف (عمر) بسيارته الزرقاء المكشوفة أمام بناية من بنايات حى (المريلاند) ، وسارع بضغط زر جانبى فى جهاز الاستدعاء الخاص به .. ثم انتظر متأملاً أضواء الفجر البكر المنبلجة من بعيد ..

ولم يطل انتظاره ، إذ ظهر فى مدخل البناية شبح أنثوى أخذت ملامحه تتضح مع اقترابه التدريجى .. لم تكن سوى (دينا واصف) بالطبع : أمر بديهى !

ـ سعادتى أكبر من أن أستطيع وصفها ..

قالها (عمر) وهو يرمقها تتخذ مجلسها فى المقعد المجاور له ، فردّت هى بجمودها المعهود الذى زادته ساعات الاستيقاظ الأولى سوءًا :

ـ المهم أن يكون لها سبب مقنع !

قال مبتسمًا :

ـ إنها المرة الأولى التى يكون فيها وجهك أول وجه أراه فى الصباح ..

قالت وهى تجاهد لمنع نفسها من التثاؤب :

ـ هذا سبب ، لكنه غير مقنع بالمرة !

هم بقول شىء ، لكنها التفتت إليه قائلة بلهجة جافة الصحراء :

ـ أعتقد أنهم أخبروك أنت أيضًا أنهم يريدوننا فى الإدارة على وجه السرعة القصوى ..

ابتلع حرجه كما تعود فى مواجهتها ، وقال دون أن ينقص ملليمتر واحد من عرض بسمته :

- ليكن .. اربطى حزام الأمان ، فبالإضافة لقانون المرور الجديد ؛ ستعرفين الآن على الطبيعة معنى اصطلاح (السرعة القصوى) ..

وبمجرد أن فعلت ، ضغط (عمر) دواسة الوقود بقوة لتنطلق السيارة كالصاروخ الموجه نحو المكتب (١٧) ، ومنعت (دينا) نفسها من الصراخ بأعجوبة ..

فى تمام الساعة (٦ : ٠٤) كانا يسيران فى أروقة إدارة المهام الخاصة ، حتى توقفا أمام باب طرقه (عمر) ثلاثًا .. ولا مجيب ..

عاود (عمر) الطرق ، ولا مجيب من جديد ..

- ربما لم يحضر بعد !

قالتها (دينا) وقد انعقد حاجباها فوق منظارها الطبى الصغير ، فقال (عمر) مستبعدًا وهو يعيد الكرّة :

- كيف وهو من طلب استدعاءنا ؟!

هزت كتفيها وقالت :

- ربما ...

قاطعها انفتاح الباب بغتة ، ليتبدى من خلفه العميد (منصور حرب) بملامحه الحادة التى علتها أمارات تجهم بينة ، فابتلعت لسانها ، بينما تنحنح (عمر) قائلاً :

- صباح الخير يا سيادة العميد !

ولاحظ أن العميد يحمل ملفًا مليئًا بالأوراق ..

- اتبعانى ..

قالها العميد (حرب) واخترق المسافة الضيقة بينهما ليمضى نحو وجهته على الفور ، وتبعاه مسرعين بينما (عمر) يفكر فى مدى خطورة الأمر الذى جعل أستاذه وأباه الروحى لاينتبه لتحية الصباح التى ألقاها على مسامعه ..

يبدو الأمر خطيرًا بالفعل ، فها هو (الصقر العجوز) يدلف إلى قسم (المتابعة) وهما من خلفه ، وها هو ذا

يقتحم غرفة الطوارئ دون استئذان مشيرًا لهما أن يدخلا ..

- هل من جديد ، عميد (حرب) ؟!

اللواء (عفت حفنى) بنفسه ها هنا ؟! الأمر يتجاوز نعت الخطير إذن !

يتجاوزه بمراحل !

- إن لم يأت الجديد من قسم (المتابعة) ، فمن أين سيأتى يا سيدى ؟!

قالها العميد (حرب) وهو يضع الملف المتخم أمامه على مائدة اجتماعات صغيرة ، ثم جلس فى مواجهة اللواء (حفنى) وعيناه الضيقتان ترنوان إلى الشاشات الكثيرة فى ركن الغرفة ، التى يجلس أمامها ثلاثة من الموظفين بسماعات ضخمة تسد آذانهم ..

مط الأخير شفتيه وقال مشيرًا إلى الرجال المنهمكين فى العمل دون توقف :

- لاجديد ها هنا .. تم تحميل محتويات الموقع ، وبينما يعكف البعض على تحليل البيانات لاستخلاص النتائج من أدق التفاصيل ، يعمل البعض الآخر على تدمير كل محتويات الموقع وإتلافها حتى يتاح لنا وقت كاف للتحرك قبل أن ينكشف الأمر ..

عجز (عمر) عن فهم مايقال ، وكذلك (دينا) التى أخذت تحاول استقراء مايدور فوق الشاشات الكثيرة دون جدوى ، بينما التفت إليهما اللواء (حفنى) قائلاً بابتسامة تنافرت بشدة مع ملامح العميد (حرب) المكفهرة :

- أرى أن تلميذك النجيب قد حضر على وجه السرعة القصوى !

عجز (عمر) عن إدراك مغزى العبارة والابتسامة ، لكنه اعتدل فى وقفته هاتفًا بثبات :

- كما أمرتم يا سيدى ..

- عملياتك السابق مبشّرة ، لكن المهمة مختلفة تمامًا هذه المرة ..

ـ سأبذل قصارى جهدى كالمعتاد يا سيدى ..

ـ وخبيرة التقنيات الحسناء حضرت أيضًا !

لم يعجب الوصفُ (دينا) ، فقالت بلهجتها التى لاتتغير أبدًا مع كائن من كان :

ـ شكرًا على المجاملة ..

فجأة تبخرت الابتسامة من فوق شفتى اللواء (حفنى) ، وأشار لمقعدين دانيين وهو يعتدل فى جلسته المسترخية قائلًا :

ـ اجلسا .. ليس لدينا المزيد من الوقت لنضيعه !!

قال العميد (حرب) وهو يقلب فى أوراق ملفه :

ـ صدقت ياسيادة اللواء .. إن كل ثانية تمر دون عمل معناها أن الوضع سينفجر فى الثانية التى تليها ..

بمجرد أن جلسا ارتفع صوت أحد المتابعين الثلاثة هاتفًا :

ـ سيادة اللواء .. يبدو أن الـ (فى . بى . سى . نيوز) تذيع النبأ الآن ..

قطب العميد (حرب) حتى اتصل حاجباه ، بينما هز اللواء (حفنى) رأسه متمتمًا :

ـ فعلوها إذن ..

وهز كتفيه مردفًا :

ـ كنا ننتظر هذا على أية حال بين ثانية وأخرى ..

ثم إنه هتف بموظف المتابعة :

ـ انقل الإرسال إلى هنا ، ولاتنس تسجيل كل شىء ..

وبسرعة ارتفعت شاشة مسطحة من طرف مائدة الاجتماعات آليًّا ، علتها على الفور صورة مذيع جاد يتحدث بالإنجليزية ، وعلى ركن الشاشة العلوى ظهر بوضوح الشعار الشهير لمحطة (فى . بى . سى . نيوز) الإخبارية العالمية ، بينما اقتحم الشاشة فى الركن السفلى مستطيل كتب فوقه (نبأ عاجل) ..

ـ .. وتشير المصادر إلى أن الطائرة المصرية المخطوفة قد حولت مسار رحلتها ، وأنها تتجه إلى (قبرص) ..

بل ويزعم البعض أن الطيار قد طلب إذن السلطات القبرصية بالفعل للهبوط فى مطار (لارنكا) ..

ارتسمت على الشاشة خريطة جرافيكية لحوض البحر المتوسط ، مع سهم أحمر يشير لمسار الطائرة التى غادرت (القاهرة) ثم استدارت نحو جزيرة (قبرص) أمام السواحل الليبية ..

ـ طائرة مخطوفة ؟

غمغم بها (عمر) بشىء من الدهشة الممتزجة بالاستنكار ، فأشار له العميد (حرب) دون صوت بأن يصمت ويتابع ..

ـ .. هذا وقد أعلن الخاطفون عن مطالبهم للسلطات المصرية بطريقة مبتكرة للغاية ، لم يسبقها إليهم أحد من قبل .. والسؤال الآن هو : هل هناك حقًا علاقة بين خطف الطائرة وقضية التجسس التى صدر فيها حكم القضاء المصرى ظهر الأمس ؟؟ المزيد من التفاصيل سوف تنقلها إليكم مراسلتنا المجولة (كارلا روبرتس) على الهواء مباشرة فور وصولها إلى (لارنكا) ..

ـ (كارلا) مرة أخرى[*] ؟!

عاد (عمر) يغمغم ، وعاد العميد (حرب) يشير له بالصمت والمتابعة ..

ـ .. تابعونا فى غضون الساعة القادمة ، فلدينا المزيد من الأنباء المثيرة ..

واختفى المذيع من فوق الشاشة لتحل محله صور أرشيفية سريعة لمحاكمة الجاسوس (منير المناديلى) ، ثم أخيرًا شارة دعائية تحمل اسم القناة وشعارها الشهير (نحن نبحث عن الحقيقة ..) !

انطفأت الشاشة ، واشتعلت عيون (عمر) و(دينا) الأربع بأسئلة جمة ..

ـ والآن .. استمعا جيدًا لكل حرف يقال ، فأقل ما يمكن أن يوصف به الأمر كما استنتجتما بلا ريب هو الخطورة ..

قالها العميد (حرب) وهو ينقل بصره بينهما

(*) راجع العدد رقم (٦) : (عملية الداهية) .

وأوراقه ، فشحذ (عمر) حواسه بينما أسندت (دينا) ذقنها على راحتها ، محدقة فى اللواء (حفنى) وهو يلتقط خيط الحديث سائلاً :

ـ تابعتما قضية الجاسوس عبر وسائل الإعلام .. أليس كذلك ؟

ـ ومن لم يفعل فى (مصر) كلها يا سيادة اللواء ؟

قال (عمر) ، وأكملت (دينا) :

ـ بل والعالم كله تقريبًا ..

استرخى اللواء فى جلسته وقال مؤيدًا :

ـ هذا حق .. لقد تحول (منير المناديلى) من مجرد خائن إلى قضية رأى عام ، حتى إنه لم يعد من حديث فى الشوارع والمنازل والمقاهى والمدارس والجامعات وفى كل ركن من أركان البلاد إلا عن هذا المهندس الذى يشغل مكانة مرموقة فى شركة محترمة من شركات الإنشاءات فى منطقة (توشكى) ، والذى جنده رجال الوحدة (٨٢٠٠) بوسائلهم المعروفة فى أثناء بعثة تدريبية أرسلناه إليها فى (كندا) ، فعاد ليرسل لهم بكل

المعلومات التى يطلبونها عن مشروعات الدولة علنية كانت أو سرية مستخدمًا وسائل الاتصالات الحديثة البسيطة من بريد إلكترونى وغرف تحادث وخلافه ، حتى وقع فى شر أعماله وقبض عليه متلبسًا ..

صمت اللواء (حفنى) ، فقال العميد (حرب) دون أن يتوقف عن التقليب فى أوراقه :

ـ هذا ما نشرته وسائل الإعلام ، أما ما لم ينشر فهو الأكثر ..

استطرد (حفنى) :

ـ لم ينشر أحد بالطبع أننا كنا خلفه منذ الليلة الأولى التى جندوه فيها فى ملهى (البارادايس) بـ (مونتريال) ، وأننا كنا نمده بكل المعلومات المزيفة التى أردنا أن يعرفها عنا الإسرائيليون بوسائل تبدو معها تلك المعلومات حقيقية غير قابلة للشك ، وأننا قد خططنا لإسقاطه فى موعد مدرج بجدول عمليات الحرب النفسية الباردة القائمة بيننا وبينهم برغم معاهدة السلام والتطبيع ، إلى آخر هذا الـ ...

وصمت من جديد تاركًا لخيالاتهما مهمة إكمال العبارة الأخيرة ، ثم عاد يستطرد :

ـ لقد أجرينا دراسات مستفيضة حول هذا الجاسوس على جميع الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والأدائية ، كمرجع نستفيد منه فى محاولة جادة للإجابة عن سؤال حير علماء الأرض كلهم ، ألا وهو : لماذا يخون إنسان وطنه ؟؟ لانزعم أننا نمتلك الإجابة ، لكننا استفدنا حقًا من هذه الدراسات كما لم نتصور نحن أنفسنا ..

قال العميد (حرب) :

ـ لقد أراح الحكم الصادر ظهيرة أمس صدور الجماهير العريضة التى تابعت القضية بحماسة غير مستغربة ، وبعد ساعات بدأت جهات حكومية عدة فى تلقى رسائل بريد إلكترونى أسود تحمل فى مضمونها تهديدات بأخذ الثأر والانتقام ، وتلوح بالشر الوبيل الذى ينتظر حلول الليل حتى يخرج من عقاله ، وتردد تلك الصيحات الخرقاء التى وردت على لسان الجاسوس إبان النطق

بالحكم .. انتشرت الرسائل كالنار فى الهشيم عبر مزودات مستعبَدَة ذات وسائل حماية ضعيفة منتشرة فى دول مختلفة إلى مزودات رئاسة الجمهورية وهيئة الاستعلامات ومجلس الوزراء ووزارات الخارجية والداخلية والعدل وسفارتنا فى (الولايات المتحدة) وعدد من الدول الأخرى بالإضافة لهيئة المخابرات العامة ومزوداتنا هنا فى الإدارة .. لم نهمل الأمر ، ولكن قبل أن نمضى فى طريق التحقيقات ، وجدنا التهديد يتحول إلى حقيقة واقعة مخيفة ..

رفع اللواء (حفنى) عقيرته مناديًا أحد موظفى المتابعة :

ـ قم بتشغيل التسجيلات يا (فتحى) ..

وأضاءت الشاشة من جديد ، لتحتلها صورة (٣ب) تدور حول محورها لرجل أسمر البشرة ، شعره طويل مثبت بزيت لامع إلى الخلف ، وملامحه تشير إلى تجاوزه الثلاثين بعام أو أكثر ..

حدق (عمر) فى الصورة للحظة قبل أن يقول :

ـ يبدو قريب الشبه بالجاسوس إلى حد كبير ..

عدلت (دينا) من وضع المنظار فوق أنفها ـ الحركة العصبية المعتادة ـ وقالت :

ـ كأنهما أخوان !

ابتسم اللواء (حفنى) وهو يقول :

ـ فراستكما فى محلها .. هذا (عزت عامر المناديلى)، شقيق المهندس الخائن (منير عامر المناديلى) .. مهندس هو الآخر ، تخصص فى الاتصالات ، وعمل وكيلاً لواحدة من كبرى شركات تصنيع الهواتف الخليوية على مستوى العالم .. لم تدر حوله أية شكوك طوال فترة متابعتنا لشقيقه .. وليلة أمس ، استقل الطائرة المصرية المتجهة إلى (نيويورك) ، وهى الطائرة نفسها التى يتعلق بها النبأ الذى استمعنا إليه معًا منذ لحظات ..

قال (عمر) مستغرقًا فى التفكير :

ـ لقد قام إذن بخطف الطائرة ليقايض حياة رهائنها بحرية أخيه ..

هزَّ العميد (حرب) رأسه هزة موافقة ، وقال مواصلاً التقليب فى أوراق الملف الماثل بين يديه :

ـ هذا ما تم بالفعل ، وهو ما لم يكن فى حسباننا مطلقًا ..

ولوح اللواء (حفنى) بسبابته فى الهواء قائلاً :

ـ التوقيت وخطوات التنفيذ يشفان عن احتراف لايستطيع (عزت) أن يرقى إليه بالعمل منفردًا .. فأولاً : التأشيرة التى حصل عليها للهجرة لايستطيع أن يحصل عليها بهذه السهولة ما لم تكن أياد خفية قد مهدت له سبل الحصول عليها فى زمن قياسى لايتجاوز الشهر ، هى الفترة الفاصلة بين القبض على (منير) والحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة ، ولا يجب أن نتجاهل الاحتمال القوى لكونها مزورة ، وتزوير بهذا الإتقان يصعب الحصول عليه عن طريق هيئة تنظيمية

محترفة .. وثانيًا : الأسلحة المتطورة التى صعد بها مع شركائه على متن الطائرة ، والتى استطعنا معرفة كنهها بتحليل عميق لتسجيلات الكشف بالأشعة التلفزيونية على حقائب الركاب مثيرة للريبة ، فهى أسلحة خاصة يتم تركيب أجزائها المتباعدة داخل الطائرة ، ويبلغ ثمن السلاح الواحد منها مايتجاوز دخل (عزت) السنوى بأضعاف مضاعفة ، ناهيك عن أرصدة شقيقه المجمدة والرقابة على كل ممتلكاته .. وثالثًا : الطريقة التى أبلغنا بها مطالبه ..

بفضول لم يستطع إخفاءه سأل (عمر) :

ـ كيف يا سيدى ؟!

أجاب العميد (حرب) نيابة عنه :

ـ لايسعنى وصفها إلا بالسهل الممتنع .. لقد أبرقوا إلى برج المراقبة فى مطار (القاهرة) ..

ـ الذى لم تكن صلته قد انقطعت بعد بقائد الطائرة ـ بعنوان موقع على شبكة المعلومات العالمية ، وفور

دخولنا الموقع وجدنا ملف فيديو يحوى تسجيلاً منفردًا لـ (عزت) سرد من خلاله مطالبه وتقيأ تهديداته فى وجوهنا بكل وقاحة ..

استغرق (عمر) لحظات ليهضم الفكرة قبل أن يقول مضيقًا حدقتيه :

ـ فكرة مبتكرة حقًا !

وسألت (دينا) اللواء (حفنى) فى اهتمام :

ـ أهذا هو الموقع الذى تحدثت بشأنه فور دخولنا يا سيدى ؟!

أجاب اللواء وقد ابتسم إعجابًا بذكائها :

ـ هو بعينه .. إننا نحلل محتوياته فى محاولة لاستنتاج أشياء تافهة مثل مكان التصوير ، الوسائل والبرامج المستخدمة لتحميل الملف على الشبكة ، البصمات الرقمية ، أى معلومة ضئيلة بهذا الصدد ربما يكون لها فائدة عظمى .. وفى الوقت نفسه نعمل جاهدين على إتلاف الموقع ، حتى لايصبح الأمر مشاعًا لجماهير الشبكة ،

فنضطر للتصرف تحت ضغوط إعلامية ربما تفرض علينا سير خطوات معينة ..

قال العميد (حرب) :

ـ أعتقد أن الأمر قد وصل بالفعل لمراسلى الـ (فى . بى . سى . نيوز) !

تنهد اللواء (حفنى) ، وصمت مفكرًا للحظة قبل أن يقول :

ـ هذه النقطة بالذات تعد تأكيدًا لنظرية الأيدي الخفية وراء (عزت المناديلى) .. من غير المنطقى طبقًا لقانون الاحتمالات أن يكونوا قد عثروا على الموقع بالصدفة .. لقد دلتهم هذه الأيدى عليه قبل أن نستطيع تدميره حتى نواجه حربًا إعلامية تفرض علينا قيودًا فى التصرف وتضعنا فى موقف حرج لايكون لنا فيه الكثير من الخيارات ..

سأل (عمر) وعيناه تضيقان أكثر :

ـ تعنى أنهم يريدون مواجهة قضية الرأى العام التى أشعلتموها بقضية رأى عام أخرى ؟!

ـ تمامًا ..

قالها اللواء (حفنى) بحسم ، ثم أردف :

ـ أكثر من هذا ، تؤكد هويات المشاركين الثلاثة فى عملية الاختطاف والتى استخلصناها بالبحث والتمحيص والمضاهاة من قاعدة بيانات الركاب ، وكلهم من المحترفين فى عالم الإجرام والإرهاب الدولى على وجود هذه الأيدى الخفية المحترفة ..

علت الشاشة عند هذا الحد من حديثه صورة أخرى (٣ب) تدور حول محورها لرجل نحيل للغاية وأشقر للغاية ، وأشار نحوها العميد (حرب) قائلاً :

ـ (توماس راسك) ، قرصان حاسب آلى من ذوى القبعات السوداء ، حوكم فى أكثر من دولة بتهم تتراوح بين القتل والسرقة والنصب الإلكترونى ، روسى الأصل لكن نشأته كانت فى (بولندا) ، ويشتهر فى الأوساط الإجرامية باسم (توم العبقرى) !

علق اللواء (حفنى) بقوله :

ـ لقد ركب الطائرة تحت هوية مستعارة لسائح فرنسى يدعى (روجيه لوبون) ..

وتغيرت الصورة مجددًا بأخرى لشخص ضخم الجثة إلى حد العملقة ، تحتل وجهه لحية شقراء كبيرة ، حدقا فيها واستمعا للعميد (حرب) يقول :

ـ (جرانت واطسون) ، إرهابى أمريكى مرتزق لايحمل انتماءً لأى جهة بعينها ، وبرغم ضخامة حجمه إلا أنه يستطيع دومًا الإفلات من قبضة العدالة فى اللحظات الأخيرة ، شارك فى أكثر من عشر عمليات إرهابية تصدرت أغلبها العناوين الرئيسية فى الصحف ونشرات الأخبار ، وهذا ما جعله أهلاً لأن تضعه المباحث الفيدرالية الأمريكية فى قائمة العشرة المطلوب القبض عليهم على شبكة الإنترنت مع إعلان عن مكافأة ضخمة .. تتردد الأقوال عن قسوته وغلظته وشبقه للعنف والدم ، لذا اشتهر بلقب معبر : (جى الدموى) ..

أردف اللواء (حفنى) :

ـ هذا أيضًا ركب الطائرة باسم مستعار هو (مايكل روستو) ، مهندس حاسبات أمريكى ..

وتغيرت الصورة للمرة الثالثة على التوالى بصورة رجل زنجى مفتول العضلات ، أصلع الرأس ، قال عنه العميد (حرب) :

ـ (بل كاسبر) ، خبير متفجرات وقاتل محترف يقال أن بلده الأصلى (جنوب إفريقيا) ، يطلقون عليه فى الأوساط الإجرامية لقب (الجمال النائم) لهدوئه وصمته الدائمين ، لم يسجل وجوده من قبل فى حوادث إرهاب جماعى إذ يفضل العمل منفردًا ، لكن الإغراء كان أكبر من أن يرفضه هذه المرة فيما يبدو ..

هرش اللواء (حفنى) فى ذقنه وهو يقول :

ـ أما هذا فهويته الزائفة كانت باسم (ريتشارد أندرسون) ، طبيب بيطرى ..

غمغم (عمر) وقد حملت لهجته رائحة السخرية :

ـ مقنع للغاية ..

قال اللواء (حفنى) وهو يستدير بمقعده ناظرًا إليهما :

ـ ما أريد أن أقوله هو أن أجر هؤلاء الثلاثة عن هذا العمل الإرهابى المتقن لن يقل بحال عن رقم محترم من ذوات الأصفار السبعة ..

صفر (عمر) بشفتيه استعظامًا ، بينما سألت (دينا) من فورها :

ـ وهل يساوى جاسوس مثل (منير المناديلى) كل هذه التكلفة الباهظة ؟

أجابها العميد (حرب) :

ـ إحراج (مصر) وإظهارها بمظهر الضعيف المرغم قد يساوى لديهم الكثير ..

ضرب (عمر) سطح المائدة بقبضته هاتفًا فى ثورة حماسية :

ـ لن نسمح بهذا أبدًا ..

تجاهلته (دينا) وهى تسأل اللواء (حفنى) :

ـ وهل ستتجاهلون مطلبه يا سيادة اللواء ؟

هزَّ الرجل رأسه يمنة ويسرة دلالة النفى ، وقال مجيبًا :

ـ ليس بوسعنا هذا للأسف ، فلدينا مايزيد على المائتين من الركاب الأبرياء المحتجزين الآن داخل الطائرة المحلقة فى الأعالى ؛ منهم نساء وأطفال رضع ، وأرواحهم أمانة بين أيدينا ..

قطب (عمر) وهتف فى حنق :

ـ لا تقل لى إنكم سوف ترضخون لمطالبه يا سيادة اللواء ..

صمت اللواء (حفنى) ، وتابع العميد (حرب) فيما يشبه التجاهل التام لقول (عمر) :

ـ وبالإضافة لهؤلاء ، لدينا راكب على درجة وافرة من الأهمية فى مقاعد الدرجة الأولى ..

التفت إليه الاثنان ، فتابع مشيرًا للصورة الجديدة التى علت الشاشة :

ـ السيد (عادل بشير) ، سفيرنا فى (واشنطن) ..

وساد الصمت ..

الرهيب ..

* * *

٣ ـ إذن بالهبوط ..

ـ السادة الركاب ، برجاء الالتزام التام بالتعليمات التالية :

١ ـ عدم مغادرة المقاعد لأى سبب من الأسباب ..

٢ ـ عدم التفكير فى إثارة الشغب أو الإتيان بحماقات ..

٣ ـ تسليم كل أجهزة الحواسب الآلية النقالة والهواتف المحمولة وأى وسيلة اتصال أخرى لنا ..

ولعلكم قد لاحظتم أن الطائرة منذ الثالثة صباحًا وهى تحت سيطرتنا الكلية ، لذا فنحن نناشدكم الانصياع التام واتباع التعليمات ، وإلا فالعواقب ستكون جد وخيمة !

حرص (عزت المناديلى) على أن تحمل العبارة الأخيرة قدرًا مناسبًا من التهديد المرعب ، وابتسم فى رضا معيدًا المذياع الصغير إلى مساعد الطيار الشاب ـ المتجهم بشدة ـ داخل كابينة القيادة ..

شعر بنشوة خفية المصدر وهو يحدق فى قطع السحاب البيضاء المتناثرة من خلف الواجهة الزجاجية الكبيرة ، والتى ألقت شمس النهار اللائحة فى الأفق عليها بشعاعات متألقة أخاذة ، لم يكن المشهد الرومانسى هو ما أثاره بالطبع ، وإنما إحساسه المريض بالقوة المطلقة ..

ـ كابتن (جميل) ، سندخل المجال الجوى الخاص بـ (قبرص) اليونانية بعد أقل من عشر دقائق ..

قالها مساعد الطيار الشاب المتجهم ، فأومأ القائد الكهل برأسه ولم ينطق ..

ـ .. قد يسقطون الطائرة لو لم نبرق لهم لاسلكيًا بهويتنا !

لم يجبه القائد مجددًا ، بينما هتف (عزت) متأففًا من إلحاحه الذى قطع عليه سيل النشوة اللذيذة ؛ السارى فى أعصابه كالمخدر :

ـ لا تبرق لهم بأى شىء الآن ، حلّقْ بالطائرة فى دائرة واسعة حول الجزيرة دون أن تدخل مجالهم الجوى ، حتى أخبرك بما تفعله ..

تجرأ المساعد الشاب وقال بعصبية :

- انتبه .. ولا تتركنا نحلق حتى ينفد الوقود !

انعقد حاجبا (عزت) بشدة ، ورفع سلاحه المجمع ليلصقه بقذال المساعد فى حركة مفاجئة هاتفًا فى سخط :

- إياك أن تخاطبنى بهذه اللهجة مرة أخرى أيها الوغد اللعين .. هل تفهم ؟!

انحنت رقبة المساعد بفعل قسوة (عزت) حتى التصق رأسه بشاشة الرادار ، وتأوه فى ألم مستشعرًا وخز الفوهة التى كادت تخترق جلده ، فهتف الكابتن (جميل) مرتبكًا :

- لم يكن يقصد .. إحم .. أعنى أنه لم يكن يريد أن يسىء إليـ ...

حول (عزت) السلاح ليشهره فى وجهه صائحًا وقد جحظت عيناه فى جنون :

- وأنت .. إياك أن تناقشنى فى شىء .. إياك ثم إياك !

- حسن .. حسن .. لا نقاش ..

هز (جميل) رأسه فى سرعة وقد فرد راحتيه أمام (عزت) الثائر كبركان ، اللاهث كثور أمام رداء أحمر ، فهدأ روع الأخير نوعًا ، بينما استعاد المساعد الشاب جلسته الأولى فى صمت ، وقد ازداد تجهمًا فوق تجهم ..

- يا زعيم ..

جاء النداء من الخارج ، وسرعان ما دلف (توم العبقرى) بنحوله المبالغ فيه وهو يحمل سلاحه فى يد ، وحاسب كف متطور فى اليد الأخرى ..

- كل شىء على ما يرام ؟!

سأله (عزت) وقد أعطاه النداء ما يحتاج إليه من زهو ، فهز (توم) رأسه مجيبًا :

- تقريبًا .. تركت (جى) مع الركاب وجئت أحمل إليك مطلبًا من مطالبهم ..

بغطرسة سأله (عزت) :

- ماذا يريدون ؟!

ـ الأطفال بيكون جوعًا ، يطلب ذووهم لهم وجبات حتى يلتزموا الهدوء المطلوب ..

صمت (عزت) هنيهة ، ثم سأل :

ـ هل مازلتم تحتجزون أفراد الطاقم داخل المطبخ ؟!

أجابه (توم) :

ـ أجل ، المضيفون والمضيفات ومعهم مهندس الطيران ، لن ندع أحدًا منهم يخرج حتى تأذن لنا ..

امتص (عزت) شفتيه فى نرجسية بينة ، ثم رفع سبابته قائلا ، وهو يتقمص شخصية قيادية لاتناسبه :

ـ النظام أولاً وآخرًا وقبل كل شىء !

ثم إنه أشاح بذراعه هاتفًا فى اشمئناط :

ـ دعهم يهلكون جوعًا ، وإن أزعجكم البكاء تصرفوا بطلقات أسلحتكم !!

وتصاعدت غمغمة متهكمة من بين شفتى المساعد المتجهم :

ـ ياللإنسانية !

كالملسوع التفت نحوه (عزت) فور أن اخترقت العبارة أذنه ، وبعد لحظة حدجه فيها بنظرة متلهبة ، استدار جهة القائد وخاطبه قائلاً :

ـ كابتن (جميل) ، ستضطر آسفًا لقيادة الطائرة دون وجود مهندس .. أو مساعد !

وقبل حتى أن يعى أى من الواقفين مغزى عبارته ، التفت إلى المساعد فحمله بقسوة من فوق مقعده ، ثم طرحه أرضًا فى المساحة الضيقة داخل الكابينة وبرك فوقه ، وسدد فوهة السلاح فى مؤخرة رأسه ، ثم ...

انفجر رأس المساعد الشاب المتجهم بالدم والشظايا ..

ـ النظام أولاً وآخرًا وقبل كل شىء !

كررها (عزت) لاهثًا ونهض نافضًا يديه ، بينما أغلق الكابتن (جميل) عينيه فى ألم وهو يتلو فى أعماقه سورة (الفاتحة) على روح مساعد شجاع ..

ـ حسن .. يبدو أن لدينا قتيلاً آخر ها هنا ..

هتف بها (توم) بلامبالاة وهو يحدق فى جثة المساعد الهامدة ، قاذفًا فى فمه بقطعة من اللادن .. كأنما الأمر لا يعنى أكثر من أن كلبًا قد نفق ..

ـ أين وضعتم جثث رجال الأمن ؟

سأل (عزت) ، فهز (توم) كتفيه وأجاب :

ـ حملهم (جى) على أصابعه وأرقدهم أمام أحد أبواب الطوارئ ، وقد قمت بتغطيتهم بملاءات النوم حتى لا يثير مرآهم المزيد من فزع الركاب ..

مستحسنًا قال (عزت) :

ـ جيد ، اذهب وخذ مكان (جى) .. أخبره بأنه سيحمل واحدًا آخر على أصابعه ليضعه بجوارهم ..

ثم إنه زفر مردفًا :

ـ وذكرنى بأن نفرج عن الأطفال والنساء فى مطار (لارنكا) حتى نستريح من وجع الرأس ، ومعهم

سنتخلص من هذه الجثث .. إننى أكره رائحتها عندما تتعفن ..

ـ سمعًا وطاعة يا زعيم ..

ـ ربما فكرت أيضًا فى الإفراج عن رعايا دول معينة ، أحب الاحتفاظ بصداقة الدول التى قد أطلب منها حق اللجوء السياسى ..

واستدار (توم) مغادرًا عندما استوقفه هتاف (عزت) السائل :

ـ بالمناسبة كم الساعة الآن ؟

نظر (توم) فى ركن شاشة الحاسب العلوى ، ثم أجاب دون أن يلتفت :

ـ (٦ : ٢٤) صباحًا يا زعيم ..

وواصل طريقه نحو مبتغاه ، فى حين أطرق (عزت) لوهلة قبل أن يغمغم :

ـ لا بأس ..

ثم إنه هتف بقائد الطائرة فى لهجة آمرة :

ـ أرسل لبرج مراقبة مطار (لارنكا) وأخبره بهويتك ، ثم اطلب الإذن بالهبوط .. واستمر فى الدوران حول الجزيرة فى الوقت نفسه .. سيستغرق الأمر وقتًا حتى يجيبوننا ..

وابتسم فى ظفر أخرق مضيفًا :

ـ وسيجيبون بالموافقة .. كن واثقًا من هذا ..

لعنه (جميل) فى سره قبل أن يمتثل لأوامره ويبدأ فى الإبراق للمطار ، وما هى إلا دقائق حتى دخل فيل بشرى صغير له لحية شقراء كبيرة ..

فيل يدعى (جى الدموى) ..

ـ ضحية أخرى يا زعيم ؟!

سأل (جرانت) وكرشه يهتز ، وعيناه تلمعان ببريق وحشى شره إذ حدقتا فى الجثة التى تتدفق الدماء من رأسها ..

ـ أجل يا عزيزى ..

ـ لِمَ لم تتركنى أستمتع بقتلها ؟ لِمَ هذا البخل يا زعيم ؟؟!

قالها (جرانت) ممازحًا ، فربت (عزت) على كتفه قائلاً بابتسامة قميئة :

ـ فى المرة القادمة يا (جى) ..

ـ أهذا وعد ؟؟

ـ خذ كلمتى ..

ثم إنه سأله :

ـ أخبرنى : ما أحوال (الديك الرومى) ؟!

ضحك (جرانت) فى جذل عنيف حتى كادت الطائرة تهتز ، وأجاب :

ـ لم نقربه بعد كما أمرت يا زعيم ، لكن .. إن أردت رأيى ..

ومال على أذن (عزت) متممًا :

ـ .. لقد نضج تمامًا ، إلى حد الاحتراق !!

ثم عاد يرتج بالضحك ، فبادله إياه (عزت) ببسمة صفراء قبل أن يقول :

ـ ليكن .. اعتن أنت بأمر الجثة ، وسأعتنى به أنا شخصيًا ..

ـ كما تأمر يا زعيم ..

ـ كابتن (جميل) ، لا حركات بطولية حمقاء من فضلك .. أعتقد أنك على دراية كافية بوخامة العواقب ..

لم يرد (جميل) على تهديد (عزت) قبل أن يغادر الكابينة ، وإن لعنه فى سره ألف ألف ألف مرة !

وفور أن غادر الكابينة ، طالعت عينا (عزت) (بل) الزنجى ، وقد أقعى فى ركن من الأركان ، منهمكا فى لصق مكعب تتدلى منه أسلاك كثيرة فى جزء من جدار الطائرة ..

ـ يعجبنى عملك أيها (الجمال النائم) !

رفع (بل) رأسه ، ثم أومأ له بملامح متجمدة ..

ـ هل انتهيت ؟!

سأله (عزت) فأجاب بأن أخرج مكعبًا آخر من جيب سترته ، وأشار للركن المقابل له بمعنى : بقيت قنبلة واحدة فقط سأثبتها فى ذلك المكان !

ـ .. يعجبنى هدوءك أكثر إن أردت الصدق ، فلشد ما أمقت الثرثرة .. استمر يا صديقى !

ثم تركه ليسير قدمًا نحو مقاعد الدرجة الأولى ، وتوقف قليلاً أمام المقاعد مجولاً عينيه ببطء فى الركاب الجالسين كأن على رءوسهم الطير ، ترتعش فرائصهم وتضرب ركبهم بعضها من فرط التوتر والترقب ..

حتى وقع بصره على ضالته المنشودة ..

علت شفتيه البسمة الصفراء ، ودنا من المقعدين المتجاورين ؛ تجلس فوق أحدهما شابة ذات ملامح جادة ، ويجلس على الآخر رجل مهندم تبدو سيماء الوقار وعلو المكانة على وجهه ، وإن كان الخوف ـ الذى يجاهدان لئلا يظهراه ـ قد بلغ منهما مبلغه ..

ـ مرحبًا .. بـ (الديك الرومى) !!

قالها (عزت) بلزوجة ثعبانية وهو يدنى وجهه من وجه السيد (عادل بشير)، سفير (مصر) فى (واشنطن) ..

وأدرك الأخير أن اللقب الذى منحه إياه قائد الخاطفين هذا يعنى الكثير ..

الكثير من الخطر !

★ ★ ★

ـ عن أى طائرة تتحدثين يا سيدتى ؟!

قالها المسئول فى برج مراقبة مطار (لارنكا) بإنجليزية مفككة ـ لكنها مفهومة ـ لتلك الشابة ذات الشعر البنى المعقوص والجمال الباهت، والتي يعرفها كثير من سكان عصر العوالم الفضائية المفتوحة : (كارلا روبرتس) مراسلة الـ (فى . بى . سى . نيوز) الشهيرة ..

أجابته (كارلا) ببراءة مصطنعة :

ـ الطائرة المصرية !!

ـ أى طائرة مصرية ؟!!

هتف بها الرجل فى استغراب، ثم حمل لوحًا مشبكيًا ثبتت عليه بعض الجداول ذات التفاصيل الميكروسكوبية الدقيقة، وتابع مشيرًا إلى سطر ما :

ـ .. آخر طائرة مصرية هبطت بالفعل فى تمام الثامنة من مساء أمس، وبعدها عادت فأقلعت إلى (القاهرة) مجددًا بعد ساعتين بالضبط، أى فى تمام العاشرة !

تطوع المصور الأسود الواقف بجوارها فقال :

ـ نحن لانتحدث عن طائرة عادية أيها السيد ..

عقد المسئول حاجبيه وقد ظنه يسخر منه، فاحتقن وجهه وهتف مشيرًا إلى ساحة هبوط الطائرات؛ الظاهرة من خلف زجاج برج المراقبة :

ـ لاتهبط لدينا ها هنا سوى الطائرات العادية بكل أسف !

قال المصور مهونًا وهو يبتسم :

ـ رويدك، نحن نعنى أنها طائرة مخطوفة !

ازداد انعقاد حاجبى المسئول وهتافه المستنكر يزداد علوًا :

ـ ماذا ؟ مخطوفة ؟!

تنحنحت (كارلا) وقالت محاولة احتواء الموقف المرتبك :

ـ معذرة ياسيد ، يبدو أننى وزميلى لم نوفق فى صياغة سؤالينا .. السؤال بصيغة أخرى هو : ألم تطلب أى طائرة محلقة إذنًا اضطراريًا بالهبوط لديكم ؟!

عجز عقل الرجل عن استيعاب كل هذا الهراء الذى يهرفان به (من وجهة نظره) ، فأجاب فى النهاية دون أن ينفك حاجباه المنعقدان :

ـ كلا ، لايحدث هذا فى المعتاد ..

أشار المصور بسبابته فى وجهه قائلاً وقد اتسعت بسمته (المستفزة !) :

ـ وجودنا فى مكان ما لايعنى سوى أن أمرًا غير معتاد يحدث فيه ، أو على الأقل سيحدث فيه !

وقبل أن يرد الرجل ، سارعت (كارلا) تصافحه وتقول بابتسامة مهنية تجيد رسمها :

ـ نعتذر عن إزعاجك ياسيدى ، اسمح لنا بالانصراف ..

ـ مؤقتًا !

قالها المصور وهو يصافحه غامزًا ، فلم يحر الرجل جوابًا وظل متخشبًا كتمثال فى محاولة من عقله لفهم ما يحدث .. بلا جدوى .. حتى اختفيا تمامًا ..

ـ يحق لك أن تتسمر هكذا مادمت قد تحدثت مع (كارلا روبرتس) بنفسها وجهًا لوجه !

همس بها زميله فى حسد ، ثم تابع مشيرًا إليها بالأسفل عبر زجاج الواجهة ، وهى تبتعد مع المصور نحو بوابة المطار الداخلية :

ـ .. انظر إليها .. أليست رائعة ؟!

لم يتحرك الرجل ، ولا انفك انعقاد حاجبيه ، كأنه قد أضحى تمثالاً حقيقيًا !

ـ سيدى ..

جعله الهاتف يستدير نحو الموظف الذى هتف بـه ، سائلاً وقد أوجس خيفة :

ـ ماذا هناك ؟!

ـ طائرة تطلب إذنًا اضطراريًّا بالهبوط ..

قالها الموظف ، ثم صمت ليقرأ ما أمامه من بيانات :

ـ .. طائرة مصرية مخطوفة .. يا إلهى !!

وأطلت عبر عينى المسئول نظرة عجيبة تحمل ملايين الأسئلة ، وسقط قلبه فى قدميه فى حين تلاشى الأمل الأخير فى أن ينفك انعقاد حاجبيه !

ـ معنى هـذا أن المعلومـات التى لدينـا غير دقيقة يا عزيزى (جيمس) .. ولا أريد أن أقول غير صحيحة !

قالتها (كارلا) وهى تعبر صالة المطار نحو الخارج ، فردّ (جيمس) ببساطة :

ـ ليس بالضبط ، ربما نحن أتينا مبكرين !

ـ تبدو واثقًا وكأنك تعرف مصدر هذه المعلومات ..

ـ لست رئيس القناة الملياردير حتى أعرفه ، لكنى واثق

من أنهم لن يذيعوا خبرًا على شاشاتنا دون التأكد من مصدره ..

ـ حتى تسجيل الفيديو المزعوم الذى يصرح فيه الخاطف بمطالبه لم يصلنا بعد ..

ـ من يدرى ، ربما نجده قد وصل على بريدك الإلكترونى كملف مرفق بالفعل فور عودتنا للسيارة !

ظهرت سيارة (فان) تحمل اسم القناة وشعارها على جانبيها من خلال الأبواب الأوتوماتيكية للمطار ، وقالت (كارلا) محدقة فى وجه (جيمس) الطفولى وهما يعبران البوابة :

ـ أحيانًا أخاف منك يا (جيمس) ..

ضحك قائلاً :

ـ لا تضخمى الأمور ، كل ما هنالك أنك أنت النجمة التى يحرصون على ظهورها لامعة براقة تحت الأضواء ، بينما أظل أنا داخل ظلال الكواليس ، مما يتيح لى فهمًا أعمق ، ورؤية أوسع وأشمل .. هذا يا عزيزى كل شىء !

كانا قد بلغا السيارة ، ففتح هو الباب الخلفى وقفز إلى داخلها المكتظ بالمعدات والآلات ، ووقفت هى تفكر قليلا قبل أن تبتسم محدقة فى شعار القناة ، ورددته هامسة :

- (نحن نبحث عن الحقيقة) !!!

- ربما يزيدك هذا خوفًا منى ، ولكن ...

قالها (جيمس) وهو يرنو إليها من داخل العربة ، فنظرت إليه وهو يتابع مشيرًا إلى شاشة صغيرة موصلة بشاشة حاسب آلى أكبر :

- لقد وصل التسجيل على عنوان بريدك الإلكترونى بالفعل .. وكملف مرفق !

- حقًّا ؟!

هتفت بها ثم قفزت إلى العربة خلفه فى حماسة متوهجة ، وعالج هو أزرار لوحة مفاتيح غريبة الشكل فى مهارة قائلا فى سرعة :

- إنه تسجيل رقمى متوسط الجودة ، بياناته من فئة (كويك تايم) التابعة لأنظمة (آبل ماكنتوش) ، عرض الذبذبة يتراوح ما بين ..

صاحت به (كارلا) وقد نفد صبرها :

- كفاك لغوًا وشغل الملف ..

استمرت أصابعه تعبث بالأزرار ، فعادت تصيح به مستحثة :

- هيا .. بسرعة ..

استدار إليها مبتسمًا وهو يقول كاشفًا عن صف لؤلؤى من الأسنان البيضاء :

- احملى المايكروفون ، وسيبدأ البث على الهواء بعد أقل من خمس دقائق ..

علت نبرة صياحها واتسعت عيناها ذهولاً :

- ماذا ؟!

هز كتفيه وقال بمنتهى البساطة :

- ومن برج المراقبة ، هكذا أبرق المسئولون فى القناة عبر البريد الإلكترونى أيضًا !

- لكن ..



استمرت أصابعه تعبث بالأزرار ، فعادت تصيح به مستحثة :
ـ هيا .. بسرعة !! ..

ـ يبدو أنهم واثقون من أن الطائرة قد طلبت إذنًا بالهبوط هذه المرة !!

انعقد لسان (كارلا) ، وتعلق بصرها على الرغم منها بصورة تتحرك فوق الشاشة الصغيرة ، لرجل بشرته سمراء ، وشعره طويل مثبت بزيت لامع ، يتحدث بلغة لا تفهمها ..

الرجل هو (عزت المناديلى) ، واللغة هى العربية !

★ ★ ★

ـ السادة المسئولون المصريون .. عندما تصلكم كلماتى هذه تكون طائرتكم (نفرتارى) ، المتجهة إلى (نيويورك) ، بين يدى هاتين ، ويكون مصير ركابها كلهم ومن بينهم رجل ذو أهمية خاصة لديكم كذلك .. ليس لى إلا مطلب واحد وحيد .. أخى ، السيد (منير عامر المناديلى) ، المحتجز فى سجونكم لمجرد أنه يراسل جهات بريئة ويمدها بتقارير عادية عن دولتكم ، تقارير بريئة هى الأخرى براءة الذئب من دم ابن (يعقوب) .. أريد أخى فى مقابل طائرتكم وركابكم ورجلكم

المهم .. وأنا لا ألقى بالتهديدات جزافًا ، ولا أعتقد أنكم تحبون أن تروا على شاشات التلفاز الركاب وهم يسقطون صرعى الواحد تلو الآخر مضرجين فى دمائهم على أبواب الطائرة .. لم أكن أحب اللجوء للعنف ولكن البادى أظلم ، والعين بالعين والسن بالسن .. لن أنتظر كثيرًا ، إذا لم أجد أخى على باب الطائرة وحيدًا ، قبل الساعة التاسعة صباحًا فى مطار (لارنكا) الدولى ، فلسوف تبدأ المذبحة .. ولن يكفينى نهر من الدم انتقامًا لأخى .. ولقد أعذر من أنذر .. بالمناسبة ، أى محاولة للقيام بأعمال بطولية ستقابل بمنتهى الحزم ، وبكثير من الدم .. لقد فعلت الكثير من أجل إنذاركم قبل أن أفعلها لكنكم استهنتم بالأمر .. ليكن ، سيفرض القوى سيطرته فى نهاية المطاف ..

والسلام ..

تمتم (عمر زهران) :

ـ الوغد الخسيس !

وساد بعدها السكون التام ، إلا من صوت نسائى شهير ..

كان هذا هو التسجيل الذى تركه الخاطف على موقع إنترنت مجانى ، أبرق بعنوانه للمسئولين فى (القاهرة) ، فتعرفوا منه على مطالبه ، ولم ترد من (القاهرة) بعد أى تصريحات رسمية فى هذا الشأن ..

.. صوت (كارلا روبرتس) ..

ـ .. مازالت الطائرة المصرية تحلق فوق البحر المتوسط حول جزيرة (قبرص) ، وما زلنا نجهل كل شىء عن أحوال ركابها وطاقمها ، بل وهوية الرجل المصرى المهم الذى تحدث عنه الخاطف ؛ شقيق الجاسوس الذى حوكم ظهر أمس فى (القاهرة) وصدر عليه حكم نهائى بالأشغال الشاقة لمدة ٢٥ عامًا ..

.. من الـ (فى . بى . سى . نيوز) !

ـ .. لكن الطيار طلب من المسئولين فى مطار (لارنكا) إذنًا اضطراريًّا بالهبوط ، ولم تجبه السلطات القبرصية بعد .. من برج المراقبة فى مطار (لارنكا) نلتقى بأحد المسئولين وهو السيد ...

.. مازال الرجل متخشبًا فى ذهول التماثيل !!

- إنهم يصعدون الأمر إلى حد مخيف ياسيادة اللواء ..

نطق بها العميد (حرب) فى توتر لم ينجح فى كبتـه ، فأخذ اللواء (حفنى) نفسًا عميقًا أخرجه قائلاً :

- هذا واضح منذ البداية ، عميد (حرب) ..

- لقد بدأت الاتصالات بين (قبرص) و(الخارجية) ..

هتف بها واحد من موظفى المتابعة ثم عاد ينهمك فيما يعمل ، فعلق اللواء (حفنى) بقوله :

- سيستغرق هذا وقتًا ..

قال العميد (حرب) فى قلق :

- إنها تقترب من السابعة الآن ..

قالت (دينا واصف) دون أدنى انفعال :

- بقيت ساعتان تقريبًا على الموعد النهائى .. وقت قليل للغاية !

سأل (عمر) فى جدية عملية :

- ماذا سنفعل الآن ؟!

هز اللـواء (حفنـى) كتفيـه ، وقـال مسـرعًا كأنمـا كان ينتظر السؤال :

- لدينا العديد من الخيارات ..

سألت (دينا) وهو تمارس حركتها العصبية المعهـودة ؛ تعديل وضع المنظار الطبى فوق أنفها :

- هل من مجال للتفاوض ؟!

أجابها العميد (حرب) :

- معنى وضع موعد نهائى أنه لاوجود لمجال كهذا ، ولا يمكننا أن نخاطر بمذبحة للأبرياء فى انتظار ما قد لايجىء ..

ضيق (عمر) حدقتيه سائلاً بدوره :

- ماذا عن عملية (كوماندوز) انتحارية بتصريح من أو بمعاونة السلطات القبرصية ؟!

رد اللواء (حفنى) :

ـ نسبة الفشل لا يستهان بها ، ومعنى هذا مذبحة أبرياء بطريقة أخرى فقط ..

ران الصمت ، قطعه (عمر) قائلاً وقد أوغرت الريبة صدره :

ـ .. أعتقد أن الاحتمالات تتقلص ..

قالت (دينا) موضحة :

ـ بل أعتقد أنه لا يوجد سوى حل أخير ..

تنهد العميد (حرب) قائلاً فى عمق :

ـ هو ما تفكران فيه بالضبط ..

ازدرد (عمر) ريقه بصعوبة ثم قال :

ـ أتعشم ألا يكون معنى حديثك يا سيادة العميد أن تسليم الجاسوس هو الحل !

أومأ اللواء (حفنى) برأسه إيجابًا وهو يقول مجيبًا عن العميد :

ـ هو كذلك ، نقيب (عمر) !

اتسعت عينا (عمر) ذهولاً ، وعادت (دينا) تمارس حركتها العصبية ، بينما استطرد اللواء (حفنى) شارحًا :

ـ سيعقد السيد وزير الخارجية مؤتمرًا صحفيًّا عالميًّا فى تمام الثامنة بتوقيت (القاهرة) ، وسيتم الإعلان عنه قبل عقده بساعة واحدة ؛ أى بعد دقائق قليلة .. سيعلن السيد الوزير فى هذا المؤتمر استجابة الحكومة المصرية التامة لمطالب الخاطفين !

.. وصمت (عمر) و(دينا) كأن على رأسيهما الطير ، إذ لم يعد هناك مجال لمزيد من التخمينات !!!

★ ★ ★

٤ـ الباقى من الزمن ..

مكتب وزير الخارجية المصرى ..

اقتحم مدير مكتب الوزير الحجرة وقد تبدت على وجهه أقصى أمارات التوتر .. والرهبة ..

ـ سيادة الوزير ، لديك مكالمة عاجلة ..

دون أن يرفع الوزير عينيه عن أكوام الورق المتناثر فوق سطح مكتبه ، هتف بضيق عارم :

ـ ألم أطلب عدم إزعاجى طوال الساعة المقبلة يا (مكرم) ؟!

تنحنح مدير مكتبه مرتين ، قبل أن يقول فى شىء من الحرج :

ـ إنها .. مكالمة على الخط الساخن يا سيدى ..

ـ ولو ...

وأردف ممعنًا النظر فى ورقة ما :

ـ أخبرتك بإرجاء كل المكالمات حتى أفرغ مما بين يدى ..

عاد الرجل يتنحنح ، ثم قال وقد تعاظم حرجه :

ـ ولكنها مكالمة من رياسة الجمهورية يا سيدى !

رفع إليه الوزير عينين متسائلتين ، فأجاب على الفور :

ـ السيد رئيس الجمهورية بنفسه يريد أن يحادثك !

انعقد حاجبا الوزير هنيهة ، ثم انفجر فى وجه مدير المكتب صائحًا بانفعال رهيب :

ـ وتتركه على الخط طوال هذه المدة أيها الـ .... ؟!

هتف مهونًا :

ـ كلا .. كلا .. إنها سكرتارية الرئاسة ، طلبت منهم الانتظار حتى أستأذنك فى ...

قاطعه الوزير بصياح كاد أن يلفظ معه حنجرته :

ـ حوّل المكالمة بسرعة ، كلا .. لا وقت ..

وفوجئ الرجل بالوزير يندفع خارج المكتب ، فتبعه مسرعًا ليراه يرفع سماعة هاتف مكتبه الخارجي ، هاتفًا فيها :

ـ نعم .. السكرتارية ؟! بانتظار مكالمة السيد الرئيس ..

مرت ثوان ، ورأى المدير وزيره يتحدث بكل احترام وإكبار ..

ـ نعم .. إنه أنا يا سيادة الرئيس .. عمت صباحًا .. أجل يا سيادي ، سوف ينعقد المؤتمر الصحفي ها هنا في مقر الوزارة بعد ساعة بالضبط .. الوضع خطير ياسيدي بالفعل لكننا نجاهد للسيطرة عليه .. إننا نبذل كل ما في وسعنا .. بالتأكيد هناك خطة للعمل يتم الإعداد لتنفيذها الآن في إدارة المهام الخاصة .. نعم يا سيدي ، المكتب (١٧) .. يمكنني أن آتي الآن لأعرض على سيادتك كل التفاصيل قبل المؤتمر .. نعم يا سيدي .. نعم .. هو كذلك .. مسافة الطريق فقط .. إلى اللقاء يا سيدي الرئيس .. إلى اللقاء ..

ووضع السماعة في مكانها ، ليشرد ببصره نحو النيل البادي من خلف الشرفة الواسعة للمكتب ، ولأضواء النهار الناعمة الأولى المحلقة فوقه كسرب من الحمام ..

ـ (مكرم) ..

هتف مناديًا مدير مكتبه الواقف خلفه في استكانة ، فانتفض الأخير ملبيًا :

ـ أجل يا سيادة الوزير ..

ـ صلني الآن باللواء (عفت حفني) من المكتب (١٧) ..

قالها وهو يعود إلى مكتبه بخطوات بطيئة ، فهز (مكرم) رأسه بقوة قائلاً :

ـ على الفور يا سيادة الوزير .. على الفور ..

وقبل أن يجلس (مكرم) إلى مكتبه ، انتفض مرة ثانية عندما التفت الوزير إليه فجأة وهو يقول محذرًا :

ـ وإياك أن تكرر مثل هذا الخطأ القاتل مرة أخرى .. هل فهمت ؟!

استغرق الأمر منه دقيقة حتى استوعب ما يرمى إليه الوزير ، وهز رأسه بعدها بقوة أشد هاتفًا بإخلاص :

ـ فهمت يا سيدى ، أعدك .. لن أكرر مثل هذا الخطأ مرة أخرى ..

ـ جيد !

وغاب الوزير خلف باب مكتبه ، الذى انغلق تلقائيًا من خلفه !

★ ★ ★

المكتب (١٧) / قسم المتابعة ..

ـ ولكن ...

لم يسمع (عمر زهران) الكلمة التى نطق بها اللواء (عفت) ، ولم يمنحه فرصة إكمال عبارته الهادئة إذ صاح فى حنق شديد :

ـ ولماذا استدعيتمونا إذن ؟! لنحرس الجاسوس حتى يصل إلى أخيه سالمًا غانمًا ؟!

ابتلع اللواء بقية عبارته موقتًا أن (عمر) لم يسمع كلمته الأولى ، وعلا الاستياء قسمات العميد (حرب) فانتبه (عمر) إلى مدى رعونته وفظاظته تجاه رئيسه الأعلى ..

كالمعتاد بعد فوات الأوان !

ـ آسف ، لم أقصد أن ... ولكن ...

أنقذته (دينا) من الارتباك دون قصد ـ وربما عن قصد ، من يدرى ؟! ـ قائلة وقد فكرت مليًا قبل أن تنطق :

ـ أعتقد أن الأمر لابد أن يتضمن خدعة ما ، فمن غير المنطقى أن تهدر الدولة هيبتها بهذه البساطة أمام مطلب لخاطف ..

قال العميد (حرب) بإعجاب حقيقى ، مختلسًا نظرة ذات مغزى إلى (عمر) :

ـ يعجبنى أسلوبك المنظم فى التفكير والحديث يا (دينا) ..

اعترى الخجل (عمر) ، فسأل محاولاً إخفاءه :

ـ أهى خدعة تكنولوجية أخرى ؟!

قال اللواء (حفنى) عاقدًا ساعديه أمام صدره :

ـ نحن نعد لخدعة بالفعل .. خدعة من نوع خاص جدًا ، لا مجال فيها لأى نسبة مهما ضؤلت من الخطأ ؛ برغم أن نجاحها يتوقف على شخص واحد فقط :

ثم إنه صمت قبل أن ينظر نحو (عمر) متمّمًا :

ـ عليك أنت ، نقيب (عمر) !

مندهشًا غمغم (عمر) وهو يشير بسبابة يمناه إلى صدره :

ـ علىّ أنا ؟!

هم اللواء (حفنى) بقول شىء ما ، عندما اخترق صوت موظف المتابعة الحوار الدائر :

ـ مكتب السيد وزير الخارجية على الهاتف يا سيادة اللواء ، يطلبك أنت بالذات ..

تبادل اللواء والعميد نظرات لحظية حملت معان تلغرافية جمة ، هز بعدها الأخير رأسه نصف هزة قبل أن يقول فى ثقة :

ـ أخبره أن الخطة المقترحة قد أصبحت قيد التنفيذ بالفعل يا سيادة اللواء ..

ثم التفت إلى (عمر) قائلاً فى حزم :

ـ نقيب (عمر) ، ستكون أنت الجاسوس الذى سوف نسلمه إلى شقيقه الخاطف !

.. وتفجرت عينا (عمر) بالذهول !!

* * *

الطائرة (نفرتارى) ..

ـ هل انتهيت يا (توم) ؟!

ـ أوشك على الانتهاء ..

ـ أريد إرسالاً فى وضوح المرآة !

ـ وأنقى يا زعيم ..

قالها (توم العبقرى) مشيرًا بإبهامه أن كل شىء يسير فى مجراه وعاد ينهمك فى العمل على حاسبه الآلى النقال ، بينما سار (عزت) فى الصف الضيق بين مقاعد الركاب المنكمشين على أنفسهم وأطفالهم فرقًا ، مستشعرًا لذة القوة والسيطرة بحس مرضى مشئوم ، ليعود فى النهاية إلى كابينة القيادة حيث (جى الدموى) ..

ـ عد إلى موقعك بين ركاب الدرجة الأولى يا (جى) ..

ـ سمعًا وطاعة يا زعيم ..

وقبل أن يغادر الكابينة سأل :

ـ هل تظنهم يستجيبون لمطلبك يا زعيم ؟!

أجاب (عزت) بعد لحظة من التفكير مقطبًا :

ـ كل الاحتمالات واردة ..

ـ ماذا لو قالوا : لن نفعل ؟!

ـ بسيطة ، ستسيل الدماء أنهارًا داخل الطائرة ، هذا أقل ما يفعله أخ مخلص وفاءً لأخيه !

ثم أشار لركن الكابينة متابعًا :

ـ وسأبدأ بالورقة الرابحة ، (الديك الرومى) !

كان السفير (عادل بشير) متكومًا حيث أشار ، وقد قيدت أطرافه الأربعة واستقر شريط من اللاصق القوى فوق فمه ، وبجواره سكرتيرته مقيدة الأطراف ومكممة الفيه أيضًا ..

ـ فى المعتاد تترك الورقة الرابحة حتى نهاية اللعبة يا زعيم ..

ـ لن أتبع القواعد فى لعبة لاقواعد لها يا (جى) ، الأحمق وحده هو من يفعل ذلك ..

سأله (جرانت) بفضول :

ـ وماذا لو أعلنوا الموافقة ؟!

ـ برغم أنى لا أعول على ذلك كثيرًا ، إلا أن الخطوات التالية محسوبة بدقة ..

وكور سبابته فوق إبهامه فاردًا أصابعه الثلاثة الباقية مردفًا بعمق :

ـ بمنتهى الدقة !

ـ الأمر كذلك دائمًا مع (الإخوة) ، إنهم يدهشوننى ببراعتهم فى كل مرة ..

ـ إلى موقعك يا (جى) ..

غادر الفيل البشرى الصغير الكابينة مبتسمًا ، شاهرًا سلاحه فى وجه الهواء ، واستدار (عزت) إلى الكابتن (جميل) سائلاً :

ـ ألم يردّ برج المراقبة فى (قبرص) ؟!

بجمود أجاب الكابتن :

ـ ليس بعد ..

نظر (عزت) فى ساعة معصمه ، العقارب تقترب من موعد المؤتمر الصحفى الذى أعلنت الخارجية المصرية عن عقده منذ وقت قصير ..

(توم) الآن يعمل على استقبال البث المباشر عبر أى قمر صناعى ينقله ، إذ فيه سيحددون موقفهم بلاشك ..

وعلى موقفهم هذا سوف تتحدد أمور كثيرة .. وخطيرة ..

جدًا ..

★ ★ ★

المكتب (١٧) / القسم الفنى ..

ـ جراح التجميل الشهير الدكتور (هانى تاج الدين) ..

صافح (عمر) الجراح الشاب الذى أشارت ملامحه لمنتصف العقد الرابع من العمر ، ثم ..

ـ خبيرة التجميل العالمية الدكتورة (إيناس عبد الرحمن) ..

صافح المرأة الأنيقة جدًا ، ذات الملامح الهادئة التى تغطيها مساحيق متناسقة الألوان ، والتى أعطتها سنًا يقل عن سنها الحقيقى بكثير : هكذا فكرت (دينا) !

ـ لعلكما قد انتهيتما من إنجاز العمل المطلوب ..

قالها العميد (حرب) فى رصانة محدقًا فى الآلات

الحديثة والأدوات الدقيقة التى تناثرت فوق مناضد القسم ، فهز الدكتور (هانى) كتفيه وقال ببسمة مرهقة :

ـ الوقت كان ضيقًا بالفعل ، لكننا انتهينا تقريبًا ..

أيدته الدكتورة (إيناس) قائلة بصوتها ذى النبرة الناعسة :

ـ بقيت دقيقتان بالضبط ، إنه رقم قياسى جديد بكل المقاييس ..

رفع (عمر) لوحًا ألصقت فوقه عدة صور أمامية وجانبية للجاسوس الشهير ، وسأل مغمغمًا :

ـ هل سأشبهه حقًّا ؟!

قال الدكتور (هانى) ضاحكًا :

ـ النتيجة سوف تدهشك ..

ثم إنه التفت للدكتورة (إيناس) قائلاً :

ـ أعتقد أن الوقت قد حان ..

ـ لا بأس ..

قالتها ببساطة واتجهت نحو جهاز أحمر اللون يقبع فى ركن وحده .. ضغطت أزرارًا متراصة على جانبيه وحركت مؤشرًا فى منتصفه ، ثم فتحت بابًا فى مركزه ليتبدى داخله قناع مطاطى متقن يحاكى ملامح الجاسوس بدرجة تثير الدهشة !

قالت الدكتورة (إيناس) :

ـ لا تنظروا إليه الآن ، يحتاج لبعض اللمسات أولاً لتصبح التفرقة بين الأصل والصورة شبه مستحيلة ..

قال الدكتور (هانى) بمرح :

ـ بل مستحيلة تمامًا ، تبخسى لمساتك الفنية قدرها يا عزيزتى !

علق العميد (حرب) بقوله :

ـ تبدو النتيجة مبشرة بالفعل ، لكن الوقت هو لعبتنا يا سادة ..

أشار الدكتور (هانى) لمقعد كبير يشبه المقاعد الموجودة فى عيادات الأسنان ، يقبع فى ركن آخر من أركان القسم ، وقال دون أن تزول بسمته :

ـ تفضل يا سيادة النقيب (عمر) ، إن هى إلا دقائق وينتهى الأمر ..

توجه (عمر) إلى حيث أشار ، واعتلى المقعد دون وجل ، وتوجهت الدكتورة (إيناس) نحوه حاملة القناع الساخن بين أصابعها الرفيعة ؛ ذات الأظفار الطويلة المطلية ، عندما استوقفتها (دينا) هامسة فى أذنها :

ـ من فضلك .. ما نوع طلاء الشفتين الذى تستخدمينه ؟!!

* * *

شوارع (القاهرة) ..

داخل سيارة من أحدث موديلات (المرسيدس) ، وعلى الأريكة الخلفية ، جلس السيد وزير الخارجية يتحدث فى هاتفه المحمول ، مراقبًا ضوء الفجر المتنفس فى خلف غابات الأبنية الخرسانية ، فى طريقه إلى القصر الجمهورى ..

ـ أجل يا (مكرم) ، أبلغ السكرتير الأول بأن يتصل بمسئولى الخارجية فى (أثينا) ، ويبلغهم بعدم ممانعتنا بأن تحط الطائرة فى مطار (لارنكا) ، فى الجزء التابع لهم من جزيرة (قبرص) ، مع التشديد على أواصر الصداقة التى تربط بيننا وبينهم .. إلى آخر هذه الرسميات .. هل تفهمنى جيدًا أم أعيد ما قلت ؟! حسن .. اذهب ونفذ .. انتظر ، لا تنس أن تشرف بنفسك على إجراءات عقد المؤتمر الصحفى ، أريده قمة فى النظام .. لن أسمح بتكرار المهزلة اللانظامية التى حدثت فى المؤتمر السابق .. حسن .. سأطمئن .. اذهب ونفذ .. انتظر ، ألم يرد جديد من إدارة المهام الخاصة ؟!

ومضت السيارة فى طريقها .. نحو القصر الجمهورى ..

* * *

المكتب (١٧) / قسم الدراما النفسية ..

للمرة رقم ألف تقريبًا ، حدق (عمر) فى ملامحه المنعكسة على زجاج بوابة قسم الدراما النفسية ، محاولاً إيجاد فارق ولو ضئيل بين ملامحه هكذا وملامح الجاسوس الأصلية ..

لقد أصبح صورة طبق الأصل منه ، الشفتان والأنف وتضاريس الذقن والخدان والجبهة ، حتى لون العينين وطول الرموش ورسم الحاجبين وتصفيفة الشعر الطويل ، لولا وثوقه من أنه (عمر زهران) لشك فى كونه الجاسوس فعلاً !

- انتهيت أخيرًا يا سيادة العميد ..

قالها شاب ممتلئ قصير القامة نوعًا ، حفر الإرهاق بإزميله علامات مميزة فوق وجهه ، ناهضًا من فوق مقعده الثابت أمام جهاز حاسب آلى متطور ..

- أخرتنا خمس دقائق كاملة يا دكتور (سامى) ..

- بيد (عمرو) لا بيدى ، مع الاعتذار لـ (الزباء) !

قالها الدكتور (سامى) ، ثم أتبع مفسرًا وهو يلوح بقرص مدمج بين أصابعه المكتنزة :

- لقد طلبت كافة التحليلات النفسية التى دونها الأطباء النفسيون الذين درسوا حالة (منير المناديلى) ، هذه كان أمرها سهل وجرى تحميلها فى ثوان ، أما

التسجيلات التى طلبتها للتحقيقات التى جرت معه ، والتى امتدت إلى ما يقرب من العشرين ساعة متفرقة ، فقد اضطررت لجمعها وتنسيقها ثم تحويلها لصورة رقمية قابلة للتحميل على هذا القرص ، هذا ما استغرق الكثير من الوقت والجهد ..

عقد (عمر) حاجبيه متسائلاً :

- عشرون ساعة ؟! وكيف سيتسنى لى مراجعتها كلها فى الطائرة التى ستقطع المسافة من (القاهرة) إلى (لارنكا) فى أقل من ساعة ؟!

ابتسم الدكتور (سامى) وقال :

- هذا بدوره استغرق المزيد من الوقت ، لقد جاهدت لانتقاء عشر مقاطع فيلمية من التسجيلات ، يتضمن كل مقطع منها حالة انفعالية مختلفة للجاسوس تتراوح ما بين الغضب والجدية والضحك والحزن وخلافه ، تتراوح المساحة الزمنية لكل مقطع منها ما بين الخمس والسبع دقائق فقط ، ليسهل لك رؤيتها والتدرب على تقمصها فى الطائرة ..

ابتسم العميد (حرب) ، وربت على كتفه قائلاً :

ـ مجهود رائع ويستحق الشكر يا دكتور (سامى) ..

ـ لاشكر على واجب يا سيدى ، ولتسمح لـى بـأن أعطلكم لمدة خمس دقائق إضافية أعطى النقيب (عمـر) خلالها نبذة عن نفسية الجاسـوس السـايكوباثية ، ومزاجه فى الملبس والمأكل والجنس الآخر و ...

ثم انتبه لشىء ما ، فقطع استرساله وسأل :

ـ لم أركِ فى الإدارة من قبل .. فى أى قسم تعملين يا آنسة ؟!

ـ (دينا) !!

.. وقرأت (دينا) بحاستها الأنوثية رسالة إعجـاب فى نظراته ، وعجبت من اكفهرار ملامح (عمر) ..

هكذا فجأة !

★ ★ ★

مطار (لارنكا) ..

ـ هيا يا (كارلا) ، سنكون علـى الهـواء بعد ١٠ ثوان ..

عدلت من هندامها بسرعة ، ورفعت بصرها إلـى الطائرة التى تستعد للهبوط من السماء إلى ساحة المطار التى تقف هى ومصورها فى ركن قصى منها ..

حمل (جيمس) الكاميرا بحرفية وهو يقول :

ـ ٧ ثوان ..

ـ لاتنس أن تظهر الماركة فوق القميص الذى أرتديه ، لقد دفعوا لنا الكثير ، هه ؟!

ـ لاتقلقى إنها فى المركز .. ٥ ثوان ..

ـ سيكون سبقًا رائعًا ..

ـ ش ش ش .. اسـتعدى .. ٣ ثـوان .. ثانيتـان .. آكشن ..

ـ ها هى ذى (كارلا روبرتس) كما عودتكـم دومًا فى قلب الحدث ، ومع التصاعد فى أحداث الطائرة المصرية المخطوفة ننقل لكم بثًا حيًا من مطار (لارنكا) الذى وافق المسئولون فيه أخيرًا على السماح بهبوط الطائرة على المدرج رقم (٣) ، إنها الثامنة إلا عشر دقائق ، الآن

حسب ساعتى وها هى ذى الطائرة تهبط خلف ظهرى تمامًا ..

رفع (جيمس) كاميرته ليتابع الطائرة وهى تهبط ، بينما واصلت (كارلا) حديثها المنسق :

ـ .. وكما شاهدنا من خلال التسجيل الذى بعث به الخاطف (عزت المناديلى)، شقيق الجاسوس المحتجز فى السجون المصرية (منير المناديلى) والذى أذيع مصحوبًا بترجمة فورية قبل قليل ، فقد حذر الأول من حمام دم فى حالة ما إذا لم يحضر أخوه قبل التاسعة صباحًا ، أى بعد ساعة تقريبًا من الآن .. ترى ، هل يستجيب المصريون ؟! وهل ينفذ هو تهديده فى حالة عدم الاستجابة ؟! الساعات القادمة ستحمل الكثير من الإجابات دون شك ، وليس أمامنا سوى الانتظار ..

لامست عجلات الطائرة أرضية المطار ، وتابعت (كارلا) :

ـ .. وستنقل لكم الـ (فى . بى . سى . نيوز) بعد دقائق بثًا مباشرًا من (القاهرة) للمؤتمر الصحفى الذى يعقده وزير الخارجية المصرى ، والذى سيحوى أول تصريح رسمى بشأن حادث الاختطاف هذا ، وجدير بالذكر أن الـ (فى . بى . سى . نيوز) هى المحطة الوحيدة التى تنقل لكم أخبار الحادث حتى اللحظة .. كونوا معنا فى الساعات القادمة فهى ستحوى الكثير والكثير من الإثارة .. كانت معكم (كارلا ربورتس) من مطار (لارنكا) فى (قبرص) ..

أنزل (جيمس) الكاميرا من فوق كتفه ، وصاح بحماسة :

ـ رائع يا (كارلا) .. خطوة أخرى على طريق المجد الإعلامى لنا معًا ..

تألقت عيناها بالسعادة ، والتفت (جيمس) إلى بوابة المطار الداخلية ؛ التى هرول عندها عدد من الرجال والنساء حاملين معدات تصوير :

ـ لكننا منذ اللحظة لم نصبح وحدنا يا عزيزتى !

* * *

المكتب (١٧) / قسم التقنيات الحديثة ..

أخرج السيد (مؤنس) رئيس قسم التقنيات أداة طويلة ورفيعة جدًا من فم (عمر) المفتوح ، ثم أمسك بجهاز صغير فى حجم هيئة آلة حاسبة عادية ، ضغط بعض أزرارها ثم تبسّم قائلاً :

ـ الآن أصبحت نسخة طبق الأصل من (منير المناديلى) ، صوتًا وصورة !

ابتسم (عمر) بدوره مغمغمًا فيما يشبه التهكم :

ـ تعيش التكنولوجيا الحيوية !

ولدهشته خرج صوته مطابقًا تمامًا لصوت (منير المناديلى) الذى ينبعث من شاشة قريبة ؛ عبر تسجيل للتحقيق الذى تم معه ..

لم يكن الأمر جديدًا عليه فقد جربه مرارًا من قبل ، لكن الأمر ما زال قادرًا على إثارة دهشته مرة بعد مرة !

قال السيد (مؤنس) فى فخار لم يخفه :

ـ إنها عين الشريحة البيوإلكترونية الملتصقة بلهاة الحلق التى استخدمناها من قبل ، مع بعض التعديلات التى رفعت نسبة التطابق مع الصوت المطلوب إلى أكثر من ٩٨٧ ٪ ، ونسعى جاهدين إلى الوصول نحو التطابق التام بنسبة ١٠٠ ٪ قريبًا .. هذا بالإضافة لتطوير آخر ، فقد استبدلنا بالمادة المصنوعة منها أساسًا مادة أخرى من اللدائن التى تريح أنسجة الجسم وتقلل الالتهاب الناجم عن ...

نظر العميد (حرب) فى ساعة معصمه التى شارفت على الثامنة ، ثم قاطعه :

ـ مبهر يا سيد (مؤنس) ، وماذا لديك أيضًا ؟!

التقط السيد (مؤنس) كبسولة دوائية من فوق المنضدة القريبة ، وقال دون ذرة من الضيق :

ـ هذه الكبسولة الخاصة بمضاد حيوى لم يعد يستعمل الآن ، تحوى داخلها معملاً نانومتريًا كاملاً يمكننا من متابعة ما يجرى ـ صوتًا نقيًا وصورة إشعاعية ـ فى محيط ٥٠٠ متر من مركز تواجدها ، ومدى إرسالها يزيد على الـ ١٠ كيلومترات قليلاً .. تصوروا !

ثم إنه مد يدًا بالكبسولة ويدًا أخرى بكوب من الماء إلى (عمر) قائلاً فى هزل لم يتناسب مطلقًا مع جدية الموقف :

ـ تفضل ، بالهناءة والشفاء !

حملق (عمر) فى الكبسولة واجمًا ، ثم رفع بصره إلى العميد (حرب) سائلاً كطفل :

ـ ألن تسبب لى أى متاعب فى الجهاز الهضمى أو .... ؟!

ضحك السيد (مؤنس) طويلاً حتى ظهرت نواجذه ، ثم قال :

ـ لاتخش شيئًا ، نقيب (عمر) .. أجهزتنا ليس لها أى آثار جانبية !

تسللت بسمة باهتة إلى شفتى (دينا) الواقفة فى ركن الحجرة ، لمحها (عمر) بطرف عينه فشعر بشجاعة خفية المصدر تغمره ، وابتلع الكبسولة دون أدنى تردد ..

ـ بقى شىء أخير .. وإن أردنا الدقة ، بقيت أربعة أشياء أخيرة !

استحوذت عبارته على انتباه الواقفين جميعًا ، فتابع باسطًا راحة يده اليسرى أمام أعينهم ؛ والتى استقر فوقها شىء ما :

ـ قنبلة (الحرباء) !!

ران الصمت هنيهة ، قطعه سؤال (عمر) مشيرًا إلى راحته المبسوطة فى حيرة مضحكة :

ـ هذا الـ ... الشىء ، قنبلة ؟!

أمسك السيد (مؤنس) بدائرة القماش الرمادية الصغيرة بين أصابع يده الأخرى ، وقال دون أن تتلاشى بسمته العريضة الخالدة :

ـ هذا الشىء هو أحدث ماتفتقت عنه أذهان العاملين فى قسمنا الأغر ، هو ليس قنبلة بالمعنى العسكرى الدارج ، فهى لاتنفجر ولاتتناثر بفعلها الشظايا ، وإنما هى كما ترون قطعة من القماش البرىء ، الذى يملك قدرة خارقة على الالتصاق بأى أنسجة قماشية أخرى سواء من القطن أو الصوف أو الوبر أو حتى ألياف (البوليستر) الصناعية ، انظروا ..

وبالفعل قرب الدائرة من المعطف الأبيض الذى يرتديه فالتصقت به على الفور ، كأنها قطعة من الحديد انجذبت لمغناطيس ..

ـ أين هى ؟!

سأل (عمر) عاقدًا حاجبيه عندما اختفت القطعة من أمام ناظريه فجأة ، كأنه يقف أمام حاو لا رئيس قسم للتقنيات فى هيئة أمنية عليا !!

ـ هذا ما يجعلها جديرة باسم (الحرباء) !

قالها السيد (مؤنس) ضاحكًا ، ثم أردف مفسرًا :

ـ الخاصية الثانية لها هى التلون بلون القماش الذى تلتصق به .. لقد زودناها بمجسات صناعية دقيقة قادرة على التمييز بين الأطياف اللونية فيزيائيًا ، وتقوم الأنسجة الخاصة داخلها باكتساب هذا الطيف فى حيز زمنى ضئيل لايتعدى الثوانى .. هذا مفيد للغاية حتى لاينتبه أحد إلى أنها قد علقت بملابسه قطعة قماش غريبة ؛ ربما انتزعها بسرعة قبل أن تؤدى دورها كقنبلة !

سأله العميد (حرب) هذه المرة :

ـ وما هو هذا الدور ، سيد (مؤنس) ؟!

لم تتسع بسمته أكثر إذ كان اتساعها قد بلغ مداه بالفعل ، وهو يجيب :

ـ هنا تأتى الخاصية الثالثة والأهم .. إن قطعة القماش المتلون هذه تمتلك قدرة على إطلاق ذبذبات فوق صوتية بترددات عالية للغاية ، هذه الذبذبات ذات ميل حرارى ؛ بمعنى أنها تنطلق فى اتجاه مصدر الحرارة ؛ أى الجسم البشرى الذى تلتصق به فى حالتنا هذه .. إن ذبذبات بهذه القوة لها تأثير ضار على جميع النطاقات الحيوية للجسم ، تتراوح نتائجها من الإغماء إلى الموت المفاجئ بحسب شدة الترددات .. الشرح العلمى لهذه الأمور يستغرق سلسلة من المحاضرات المتخصصة التى لا أتصور أن لديكم من الوقت مايسمح حتى بعرض مختصر لها ..

تنهد العميد (حرب) قائلاً :

ـ بالفعل ، الباقى من الزمن ساعة !

أخرج السيد (مؤنس) من جيب معطفه كيسًا بلاستيكيًا صغيرًا شفافًا ، وقال لـ (عمر) :

ـ لديك ها هنا أربع قنابل (حرباء) ، سيكون عليك لصقها على ملابس الخاطفين دون أن يشعروا .. مهمة غير سهلة لكنها أهون كثيرًا من القتال فى ميدان ضيق ملىء بالأبرياء كالطائرة ..

غمغم (عمر) لنفسه كأنما يريد بث الطمأنينة فيها :

ـ سأفعلها بإذن اللّه ..

التفت (مؤنس) إلى (دينا) متابعًا :

ـ هنا يأتى دور ابنة شقيقتى العزيزة .. من المفترض أنها ستكون على مسافة قريبة من مكان تواجدك إما على أرض المطار ، أو داخل مروحية تتابع الطائرة إذا ما أزمع الخاطفون الإقلاع بها ، وسيكون بحوزتها جهاز متابعة يكشف عن أماكن انتشار القنابل الأربع ..

القنابل معك ستظهر لديها على الشاشة كنقطة مضيئة واحدة ، وعندما تتفرق على أربعة أماكن مختلفة ستبدأ فى إشعال مولد الذبذبات ، وسينهار الخاطفون كالجنادل ..

شعرت (دينا) بجسامة المسئولية الملقاة على عاتقها ، ولكنها لم تملك إلا أن تقول :

ـ سأفعلها أنا الأخرى ..

لوح السيد (مؤنس) بسبابته قائلاً فى تحذير :

ـ خذى الحذر ، مولد الذبذبات لايعمل خارج نطاق ٥ كيلومترات بعدًا عن القنابل ..

قال العميد (حرب) ناظرًا فى ساعته من جديد :

ـ عمل رائع فعلاً ، سيد (مؤنس) .. هل من شىء آخر ؟!

تلاشت بسمة السيد (مؤنس) عندما لم يتلق التقريظ المنتظر ، ومط شفتيه قائلا :

ـ كلا ، هذا كل شىء ..

ـ سيبدأ المؤتمر الآن ، إنها تمام الثامنة ..

قالتها (دينـا) غـير مخفيـة توترهـا ، وخـاطب (عمر) العميد (حرب) بقوله :

ـ هل ستقلنى السيارة إلى المطـار على الفور يا سيدى ؟!

هزَّ العميد (حـرب) رأسـه نفيًا ، وأجابـه بلهجـة حملت قدرًا رهيبًا من الوجل الوقور ، اللائق بمكانتـه كـ (صقر عجوز) :

ـ ليس بعد .. بقى لقاء واحد ..

ثم إنه زفر بحرارة ، متابعًا :

ـ .. وأخير !

★ ★ ★

٥ ـ الأخ ..

توقفت (المرسيدس) السوداء الحديثة أمام مبنـى وزارة الخارجية ، وبداخلها الوزير يتحدث فى هاتفـه المحمول ، وينظر فى ساعته التـى جاوزت عقاربها تمام الثامنة بدقيقة فقط ..

ـ السيد الرئيس صدق بنفسه على الخطة برغم تخوفه من النتائج .. ليس أمـامكم إلا النجاح ، لـواء (حفنـى) ، بإذن اللّه (جل شأنه) طبعًا ..

ثم إنه رنا ببصره نحو بوابة الخارجية التى تزاحم أمامها الصحفيون والمصورون والمراسلون انتظـارًا لمجيئه ، وازدرد لعابه مكملا بلهجة مليئة بالوجل :

ـ سأعلن الآن النبأ على مرأى ومسمع العالم كله .. تذكر يا عزيزى أن البدائل سوف تكون جد وخيمـة .. كـان اللـه فى عوننا جميعًا فى هذه اللحظات الصعبة .. إلى اللقاء ..

وترجل مـن السيارة التى فتحهـا واحد من الحرس الخاص التابعين له ..

متجاهلاً نظرات الفضول وأسئلة الجمع الذى حاول أن يتجمهر من حوله أمام بوابة الوزارة ، اتجه الوزير صامتًا متجهم القسمات إلى البهو الواسع الذى يحتل قسمًا كبيرًا من الطابق الأرضى ، والذى انتصبت فى مركزه منصة خفيضة ؛ تراصت حولها المقاعد وكاميرات التصوير على شكل نصف دائرة ..

اعتلى المنصة على الفور ، وتناثر الصحفيون والمراسلون فى نصف الدائرة .. سطعت فلاشات التصوير ودارت الكاميرات وتكومت الـ (ميكروفونات) التى تحمل أسماء المحطات التلفزيونية العربية والعالمية الشهيرة أمامه ، هرج ومرج ثم .. ران الصمت التام على الحضور جميعًا ..

بسم الله الرحمن الرحيم ..

وتنهد الوزير ثم انطلق يقول فى هدوء تناسب مع تجهمه :

ـ أتحدث إليكم من موقعى هذا باسم (مصر) قيادة وشعبًا ..

تناهت إلى مسامعه أصوات المترجمين الفوريين من بعيد ، فصمت ثم استطرد بعد هنيهة :

ـ شاهدنا جميعًا منذ وقت قصير اختطاف الطائرة المصرية (نفرتارى) ، التى يفترض توجهها إلى (نيويورك) ، غير أن الخاطفين غيروا من وجهتها نحو (قبرص) قبل قليل .. شاهدنا أيضًا عبر إحدى القنوات التلفزيونية العالمية التسجيل الذى تركه لنا الخاطف معبرًا فيه عن مطالبه .. الإعلام ـ مرئى ومكتوب ـ مهتم بالقضية ونحن كذلك ، الصحف التى لم تلحق بالخبر متعطشة الآن لما يروى غليل الطبعات الثانية والمسائية منها بحثًا عن الإثارة .. نحن لانبحث عنها للأسف ، ولست أعلم متقدار ما تحويه أقوالى منها .. كل ما أملكه الآن لايتعدى تصريحًا رسميًا بسيطًا ..

الأقلام تعدو فوق ورق الصحفيين الأبيض ، الكاميرات كلها فى وضعية (الزووم إن) أو فى (الكلوز) ، عيون المراسلين تكاد تقفز من محاجرها ..

- .. لنا ما يزيد على المائتى رهينة داخل الطائرة ، كلهم من المدنيين الأبرياء .. أرواحهم تهمنا أكثر من أى اعتبارات أخرى .. وبغض النظر عن أى خسائر سياسية قد نتعرض لها ، فقد قررنا ..

وأخذ نفسًا عميقًا ، ثم قال :

- .. قررنا أن نستجيب لمطالب الخاطفين !

خيم الذهول للحظة ، ثم سادت همهمة بين الحضور ، واستمر الوزير فى تصريحاته ..

- سنفرج عن الجاسوس (منير عامر المناديلى) لظروف طارئة ، وسوف يجرى تسليمه فى تمام التاسعة إلى الخاطفين داخل الطائرة ؛ حفاظًا على أرواح رهائننا .. هل من أسئلة ؟! وبعد هنيهة أخرى من الذهول الذى جمد الحروف فى الحناجر ، انطلقت الأسئلة كالقذائف فى وجه الوزير ..

كالقذائف !

★ ★ ★

- تهانىّ يا زعيم .. لقد نجحنا !

هتف بها (جى) السمين فى جذل ، وهو يتابع الإرسال المشوش فوق شاشة الحاسب الآلى النقال ؛ داخل كابينة القيادة ، بينما ظل (عزت) عابسًا غارقًا فى التفكير ..

- لم أتوقع أن يرضخوا لمطلبنا بهذه السهولة يازعيم..

قالها (توم العبقرى) ونظرات الشك تتقافز فى مقلتيه ، فأجابه (عزت) باقتضاب :

- ولا أنا ..

فرقع (جى) إصبعيه المكتنزتين وهو يقول بثقة :

- لقد أفزعناهم حتى الرعب ، لابد أنهم قد بللوا سراويلهم عندما كشفوا هويّاتنا !

- ربما ...

قالها (توم) دون اكتراث ، وقبل أن يعودوا للانشغال بالمتابعة ، هتف الكابتن (جميل) بنبرات حملت الكثير من المقت :

- سيرسلون لكم عربتين كبيرتين لنقل النساء والأطفال ..

التفت نحوه (عزت) ، وقال كالملسوع :

- هل ردّوا عليك ؟!

هز الكابتن بالإيجاب ، وأجاب مشيرًا إلى (توم) :

- أجل .. السيد طلب منى أن ...

بشراسة صاح فيه (عزت) :

- أرسل لهم الآن بإلغاء الطلب .. لن نفرج عن أحد !!

بتردد أراد (توم) أن يقول شيئًا :

- ولكن يا زعيم ، أنت قلت ...

بوحشية صاح فيه (عزت) مقاطعًا :

- لا نقاش ..

صمت (توم) متذمرًا ، وقال (عزت) لاهثًا ؛ مثل كلب بعد نوبة من الركض :

- ماداموا سيستجيبون سريعًا فلاداعى لأى فعل غير آمن ..

والتفت إلى الكابتن مجددًا ليقول :

- أخبرهم أن أى عربة أو أى كائن حى يخترق المجال الآمن باتساع كيلومتر كامل حول الطائرة ؛ لسوف يعرض نفسه والطائرة والركاب لخطر جسيم ..

وتألقت ألوان الشر الساخنة فى عينيه وهو يردف مؤكدًا :

- خطر الفناء ..

* * *

سأل صحفى :

سيادة الوزير ، كيف سيتم نقل الجاسوس المصرى إلى (لارنكا) فى هذا الوقت القياسى ؟!

- عبر طائرة خاصة ستقلع فى غضون دقائق ، وأطالب الخاطفين بضبط النفس حتى لايُحدث تأخير مقداره دقائق - ربما لظروف خارجة عن الإرادة - كارثة ما ...

سألت صحفية :

ـ وما هو الضمان على أن يلتزم الخاطفون بإعادة الرهائن ؟!

ـ ما زال التفاوض جاريًا بيننا وبينهم حول هذه النقطة ...

سأل مراسل أجنبى :

ـ ألا يعرض رضوخكم لمطلب الخاطفين شرعية الدولة والقضاء المصرى للاهتزاز ؟!

ـ قلت مسبقًا إن أرواح الأبرياء تهمنا أكثر من أى اعتبارات سياسية أخرى ..

وسألت مذيعة مصرية :

ـ هل سيصعد الجاسوس إلى الطائرة بمفرده أم سيكون معه مرافق ما ؟!

ـ لم نتفق على التفاصيل بعد !

ضحكة ساخرة عالية فى حجرة ضيقة ذات جدران

عازلة للصوت ، جرداء من أى أثاث ، فيها تلفاز وحيد معلق فى السقف ينقل وقائع المؤتمر ، ولها بابان ..

ضحكة ساخرة عالية ..

وواثقة ..

وكريهة ..

ـ مرحى يا أخى العزيز .. مرحى أيها (الإخوة) جميعًا .. هكذا يكون العمل وإلا فلا ! ينفتح الباب الآخر ، ويتوقف (منير المناديلى) عن الضحك ، لكن المرح يظل محفورًا فوق ملامحه الغبراء ..

يدلف العميد (منصور حرب) ، ويقف مثبتًا عينيه على الجاسوس المرتدى ملابس السجن ، ومعصماه محاطان بقيد حديدى مغلق ..

لا يظهر على وجه العميد (حرب) أى انفعال محدد وهو يخاطب الجاسوس بقوله :

ـ صباح الخير ...

ينفجر الجاسوس بالضحك لتظهر أسنانه السوداء ، ويهتف :

- صباح السعادة .. صباح الهناء .. صباح الـ ...

يظل العميد (حرب) صامتًا دون أن يعلو وجهه أى انفعال ، فيتوقف الجاسوس عن الضحك ويخاطبه بجرأة :

- ما بك يا رجل ؟! ألا تشعر بروعة الحياة من حولك ؟! إن هذا اليوم هو أسعد أيام حياتى ، لكنى أشك فى أنه كذلك بالنسبة لك !

وينفجر ضاحكًا من جديد قائلاً :

- .. بالنسبة لكم جميعًا !!

يقول العميد (حرب) فى صرامة تجبره على التوقف عن الضحك الأرعن :

- تبدو روحك المعنوية مرتفعة للغاية يا (منير) ..

يرفع (منير) ذراعيه ويطوق بهما رقبته ، ويدور راقصًا فى الحجرة كالمَعاتيه منشدًا :

- بل هى فوق السحاب ، كطائرة مخطوفة !

ينفجر بالضحك مرة أخرى ، ثم يتمالك نفسه فى النهاية مضيفًا :

- أو .. كروح برىء يستحق براءته !

يهز العميد (حرب) كتفيه ويقول بنفس الصرامة :

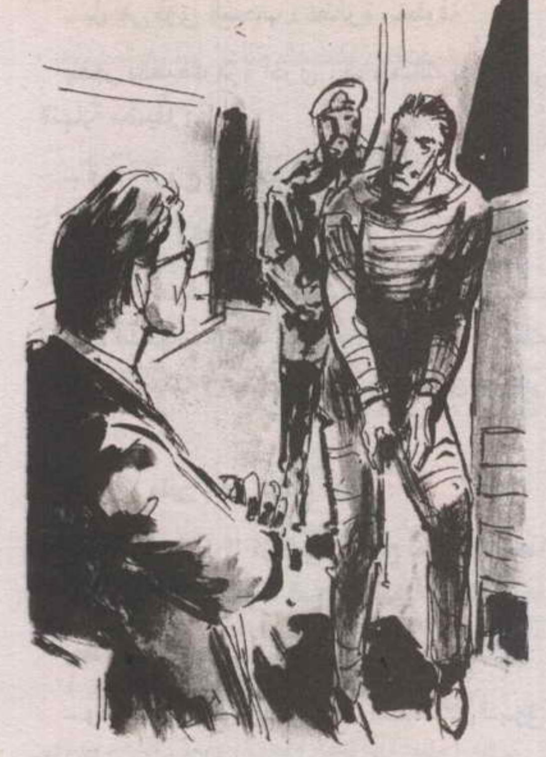
- لكنك اعترفت فى التحقيقات بتعاونك مع جهات معادية ، أمددتها بمعلومات مدفوعة الأجر عن أسرار عملك وأسرار اقتصاديه وعسكرية أخرى جمعتها من مصادر متفرقة ..

يصيح (منير) فى اندفاع أهوج :

- وماذا فى هذا ؟! كل شىء أصبح بمقابل فى هذا العصر ؛ عصر اقتصاديات السوق العالمية المفتوحة ..

يعقد العميد (حرب) ساعديه أمام صدره سائلاً :

- وكم يساوى الوطن فى عصر اقتصاديات السوق هذا ؟!



يعقد العميد (حرب) ساعديه أمام صدره سائلاً :
ـ وكم يساوى الوطن فى عصر اقتصاديات السوق هذا ؟!..

ببساطة يهز (منير) كتفيه ويجيب :

ـ لاوطن إلا المال !

ثم يرسم ابتسامة صفراء فوق شفتيه ، هاتفًا فى جذل :

ـ دعنا الآن من هذا الجدل البيزنطى العقيم .. منذ نقلونى سرًّا من السجن إلى هنا وأنا أدرك أننى حر ، هيا .. يجدر بكم الإسراع فالوقت ليس فى صالحكم ..

يتلاعب العميد (حرب) بأعصابه بنفس الانفعالات الجامدة :

ـ الإسراع فى ماذا ؟!

يشم (منير) رائحة لايستحسنها ، وبرغم ذلك يجيب متظاهرًا بالثقة :

ـ فى فك هذه القيود ، ونقلى إلى (قبرص) ..

يهزه العميد (حرب) بمنتهى البساطة قائلاً :

ـ ومن قال إننا سنفعل ؟!

تزكم الرائحة أنف (منير) الذى يفقد الكثير من ثقته ، وهو يقول مشيرًا إلى الشاشة :

ـ وزير خارجيتكم قالها !

ـ قال إننا سنفرج عن الجاسوس ونسلمه إلى الخاطفين ..

ـ هذا بالتحديد ما أعنيه ..

ـ لا تعارض إذن !!

يصيح (منير) وقد فقد سيطرته على أعصابه :

ـ كف عن هذا ..

ثم يصمت ، ويضحك ضحكة عصبية تميط اللثام أكثر وأكثر عن مدى ما يعانيه من اضطراب نفسى ..

ـ أنت تلهو بى فقط .. أنا أعلم أنكم لن تضحوا بأرواح ركابكم مهما كلفكم الأمر ، فما بالك والبديل بين أياديكم بالفعل ؟

بلهجة ذات مغزى يقول العميد (حرب) :

ـ إنه بين أيدينا بالفعل !

ـ لتضع فى حسباتك أنت ومن خلفك أن أخى لن يتوانى عن سفك دماء الجميع إذا لم أنل حريتى التى أستحقها ..

يقولها (منير) محاولاً استجماع ثقته المتبخرة ، فيقول العميد مبتسمًا للمرة الأولى فى مواجهته :

ـ نعم الأخ ، ونعم الأخوّة !

ـ لا تقولوا إننى لم أحذركم ، إن لم تسلمونى لأخى فى الموعد الـ ..

ـ أواثق أنت من كونه أخاك ؟!

يصمت (منير) محدقًا فى وجه العميد (حرب) برهة ، ويغمغم فى انزعاج :

ـ أى لعبة تلعبونها هذه المرة ؟!

ـ أجب ..

بمنتهى الضيق يصيح (منير) وقد فقد رشده :

ـ أجل ، واثق أنا من أننى (منير المناديلى) شقيق (عزت المناديلى) !!

يقاطعه صوت من خلف كتفى العميد (حــرب) مفجرًا هيكل ثقته المتداعى :

ـ إن كان (عزت المناديلى) شقيقك ، فمن يكـون بالنسب لى يا صاح ؟!!!

ويظهر (منير المناديلى) عبر البـاب خلف العميد الواقف فى ثبات ، عفوًا .. يظهر (عمر زهران) فى صورة طبق الأصل منه ..

وبعد أن يخترق الصوت طبلة أذن (منـير) / الحقيقى، وبعد أن تصافح عيناه صورة لم يحلم برؤيتها إلا كانعكاس فى مرآة ، تموت الحروف والكلمات فى حلقه ، ويتخشب كصنم من عجوة ..

ـ ما رأيك ، أما زلت بعد واثقًا ؟!

ويرين الصمت لدقيقة كاملة ، وربما أكثر ، لا يقطعه سوى الصوت المنبعث من التلفاز المعلق فى السقف ، حيث مراسلة حسناء ذكية تسأل الوزير :

ـ هل تظنه حادثًا ذا دوافع فردية يا سيدى ؟ بعبارة أخرى ؛ هل تظنون أن هناك قوى خفية تقف وراء حادث الاختطاف هذا ؟

تتجمد ملامح وزير الخارجية ، يشرد ببصره للحظة قبل أن ينظر نحوها ويجيب فى اقتضاب حاسم :

ـ لا تعليق !

* * *

ـ أشعر أن هناك أمورًا تحدث يا (جيمس) !

قالتها (كارلا روبرتس) وهى تضرب بأطراف أصابعها أزرار حاسبها الآلى النقال ؛ المرتكز فوق نتوء فى جدار ، فابتسم (جيمس) قائلاً وهو يشير إلى الطائرة المصرية الرابضة على مسافة غير قريبة منهما ، والتى ثبت عليها عدسة كاميرته الثابته :

ـ أعلم .. هناك طائرة مخطوفة هاهنا ..

أشاحت بيدها وقالت فى ضيق :

ـ لست أمزح .. أعنى أمور تحدث فى الخفاء ، حاستى الصحفية لا تخيب أبدًا بشأن أمور كهذه !

قال بنفس لهجته المداعبة :

ـ حاستك الصحفية هذه هى التى جعلتك لاتشاركين فى ذلك التكالب الإعلامى على العربتين المجهزتين لنقل الأطفال والنساء المفرج عنهم .. أليس كذلك ؟!

وأشار إلى الجمع المتناثر حول مكتب الأمن القريب ، فمطت (كارلا) شفتيها وقالت ناظرة حيث أشار :

ـ أكره الكعكة التى يلتم حولها جيش من النمل ..

ـ حسبنا إذن تصوير الطائرة فى وضعية الثبات هذه !

ـ لن يطول هذا الوضع ..

قالتها ثم عادت تعمل على الحاسب الآلى ، وأردفت :

ـ لم يبق الكثير من الوقت .. ربع ساعة أو أقل وتحل التاسعة ؛ الموعد النهائى الذى حدده الخاطف تبعًا لتسجيل الفيديو الرقمى ..

ـ وهل يمثل الربع ساعة وقتًا كافيًا لإطلاق سراح النساء وأطفالهن ؟!

ـ ملاحظة ذكية ، ودليل لا بأس به على أن هناك أمورًا ما تحدث !

عقد (جيمس) حاجبيه متسائلاً :

ـ تعنين أن الخاطفين قد تراجعوا عن موقفهم فى إطلاقهم ؟!

ـ ليس هذا فحسب ؛ أشعر أنها أمور أكبر ..

وتصاعد هدير مروحية تقترب من بعيد ، كذبابة تطن فى سماء زرقاء ، نظرا إليها مليًّا قبل أن تغمغم (كارلا) فى توجس :

ـ .. بكثير !!

* * *

زفر (عمر زهران) / (منير المناديلى) فى إرهاق ، وتثاءب بصوت مسموع ، ثم نظر إلى (دينا) الجالسة على المقعد المجاور داخل المروحية ، ونزع السماعتين الضخمتين عن أذنيه قائلاً :

ـ أتعلمين ؟! قيادة هذه الطائرة أسهل بكثير من تقليد وغد كالذى أحمل ملامحه !

أشار ـ وهو يقولها ـ إلى مقعد الطائرة ، ثم إلى الحاسب النقال الذى تعلوه نافذة ؛ تعرض تسجيلاً لتحقيق مع الجاسوس ، فردت (دينا) ـ كما توقع ـ بكلمة واحدة :

ـ نعم ..

قال مصرًا على اجتذابها للحوار ، بعيدًا عن عملها على حاسبها الآلى :

هل تعلمين أننى كنت من العشرة الأوائل على دفعتى ، خريجى الكلية الجوية ؟!

ـ حقًا ؟!

مال نحوها قائلاً :

ـ يبدو أنك مشمئزة من الملامح التى فوق وجهى لدرجة أنك لا تنظرين نحوى مطلقا !

قالت ولما تنظر إليه :

ـ أنا لا أنظر إليك فى أى حال ، لو تلاحظ !

قال فى خيبة أمل ، وهو يراقب مبنى مطار (لارنكا) المقترب من بعيد :

ـ أهذا آخر ما سأسمعه منك قبل أن نصل ؟!

ثم تنهد مغمغمًا وهو يبتعد برأسه عنها :

ـ ربما لا أعود .. المهمة فائقة الخطورة هذه المرة ..

واخترق قولها أذنه على حين غرة :

ـ أشعر أنك سوف تنجح !

التفت نحوها مباغتًا ؛ آخر ما يمكن أن يتوقعه هو أن يسمع منها كلمات كهذه !

ـ حقًّا ؟!

هتف بها مستبشرًا ، ولدهشته الشديدة وجدها تبتسم متممة :

ـ وسوف تعود !

ـ هذا أكثر مما كنت أنتظر ، سأفعلها .. سأنجح وسأعود !

قالها متهلل الأسارير ، ثم عاد يعمل على حاسبه الآلى فى حماسة غريبة ، واتسعت ابتسامتها وهى تسمعه يغمغم فى حرارة :

وإنى وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل

لكن قلبها انقبض فجاة عندما رأت من النافذة المجاورة لها طائرة مصرية ساكنة تحمل اسمًا فرعونيًا ذا رنين ..

(نفرتارى) ..

ولم تدر أبدًا ما سر هذا الانقباض المفاجئ ..

* * *

سأل (عزت) وقد استبد به التوتر وغلبه الانفعال :

ـ لا شىء بعد من برج المراقبة ؟!

ـ لا شىء ..

أجاب الكابتن (جميل) وهو يضغط بأصابعه على صدغيه ، محاولاً السيطرة على الصداع الذى دهمه ؛ ربما من فرط الهول الذى وجد نفسه فيه دون سابق إنذار ..

بدأت يدا (عزت) فى الارتعاش ، ولاحظ (توم) ذلك فقال مهونًا :

ـ اهدأ يا زعيم .. ما زال أمامهم بضع دقائق !

نظر (عزت) فى ساعة الكابينة المضبوطة بدقة والتى أشارت إلى التاسعة إلا دقيقتين ، وتجاهل (توم) ليقول للكابتن فى لهجة أراد أن يكسوها بالحزم والقسوة :

ـ أرسل لهم الإنذار الأخير ، إن لم يأت أخى فى عربة يقودها بنفسه دون أى مرافقين أو مراقبين فى تمام الموعد المحدد سلفا ، فسوف تبدأ المذبحة دون لحظة تأخير واحدة .. زفر الكابتن لهبًا ، وامتثل للأمر كارهًا ، فى حين ضرب (عزت) براحته المفرودة على ذراع (توم) النحيل ، ورفع سلاحه هاتفًا فيه :

ـ اتبعنى ..

تبعه (توم) سائلاً وهو يشهر سلاحه بدوره :

ـ إلى أين يا زعيم ؟!

ـ سوف ننتقى الضحية الأولى !

قالها (عزت) ملتفتًا إليه ليواجهه أمام مدخل الكابينة ، فأشار (توم) إلى السفير وسكرتيرته المقيدان فى الركن وقال :

ـ لكن (جى) أخبرنى أنك سوف تبدأ بـ (الديك الرومى) !

نظر (عزت) إلى السفير مليًا ، والتقت الأنظار الصامتة للحظات ، قبل أن يقول الأول فى لهجة مخيفة :

ـ سأفعل .. لكنى سأرسل لهم بطلقة تحذيرية فى البداية ، ومتى بدأت المذبحة فسأضحى بـ (الديك الرومى) قربانًا على مذبح الأخوة !

وغادرا الكابينة ، وانضم إليهما (جى الدموى) عند مقاعد الدرجة الأولى .. وبين مقاعد الدرجة السياحية العادية سار الثلاثة يتقدمهم (عزت) كأنهم يستعرضون الأنسب للقتل ، بينما وقف (بل) الزنجى وحيدًا فى ركن ، كمشاهد سلبى ..

ـ أنت ..

.. وأغمض الأصلع المكتنز ، المرتدى حلة كاملة ، والجالس بجوار زوجته المحجبة وابنته التى لم تتجاوز الأعوام الأربعة عينيه فى ألم ..

ـ لعلك مازلت تذكر أنك قد سببت أخى بكل بذخ ونحن فى المطار !

فتح الرجل عينيه وصاح فى رعب :

ـ أنا ؟! من ؟! أخوك من ؟!

ـ (منير المناديلى) ..

قالها (عزت) فى قسوة أشعرته بالتلذذ ، وأكمل :

ـ .. الجاسوس الذى باع لحم بلاده فى السوق بأبخس الأثمان !

شهق الأصلع ، وجحظت عيناه فى هلع وهو يسأله :

ـ أهو أخوك ؟!

لكزته زوجته التى انكمشت على نفسها وطفلتها الشاخصة بلا فهم ، وهمست فى لوم :

ـ أخبرتك مرارًا أن تحفظ لسانك !

صاح فيها وقد أوشك على البكاء :

ـ أهذا وقته ؟!

حرك (عزت) يده المضمدة أمام عينى الرجل ، وقال :

ـ لقد أغضبنى قولك حتى إننى جرحت نفسى من فرط الغضب .. هل عرفت الآن مايشعر به ذووه ياسيدى ؟!

تنحنح الرجل ، وحاول التصرف بدبلوماسية فقال وجسده يهتز من الخوف :

ـ أعتذر بشدة ياسيدى .. لم أقصد أن ...

تأتأ (عزت) هازًا رأسه يمنة ويسرة ، وقال :

ـ كلا .. كلا .. أنت لم تعرف بعد شعورى كاملاً ..

وجذبه من أعلى سترته فى عنف جعل زوجته تصرخ ، وطفلته تبكى ، والركاب يشهقون ويهمهمون دون أن يجرؤ واحد منهم على التدخل ..

ـ الرحمة ياسيدى .. أنا لم أقصد ..

صاح بها الرجل وهو يهتز كورقة بين يديه ، وألقاه (عزت) ليرتمى بين ذراعى (جى) صائحًا فى الأخير :

ـ أخرسه يا (جى) .. إنه طلقتنا التحذيرية ..

صرخت الزوجة :

ـ كلا .. اتركوه .. أرجوكم ..

وبكت الطفلة ونادت أباها مرارًا بنبرة تمزق نياط القلوب ، لكن (عزت) أشهر السلاح فى وجه المرأة هاتفًا :

ـ إن لم تصمتى ألحقتك به .. وابنتك كذلك ..

ـ كلا .. سأصمت .. سأصمت ..

وابتلعت الزوجة حنجرتها ، وظلت الطفلة تبكى ، وتنادى أباها ..

ـ بابا .. بابا ..

ـ أسكتيها ..

صاح بها (عزت) فى جنون ، فأسرعت المرأة تكمم فم طفلتها برفق ، فى حين قال (جى) سعيدًا :

ـ أسكته يا زعيم .. هل أجهز عليه الآن ؟!

ـ كلا ، سأفعل بنفسى ..

ـ اتركه لى يا زعيم ، منذ مدة لم أرو غليلى للدم ..

ـ قلت سأفعل بنفسى يا (جى) ..

وسدد بصره نحو مقعد آخر على الجهة المقابلة ثم همس لنفسه وقد طرأت له فكرة :

ـ ولِمَ لا ؟! لنجعلهما طلقتين تحذيريتين ..

وسار وخلفه رجلاه إلى حيث مقصده ، المقعد الذى كان يجلس عليه عند الإقلاع ..

ـ مرحبًا يا صغيرى ..

شاب له جسم رياضى وشعر مصفف على طريقة (سبايكى) ، وعينان مرتعبتان ، كان يجلس بجواره ..

ـ أظنك قد سمعتنى أقدم نفسى لزميلك هذا ..

كان يشير إلى الأصلع المكمم فمه بشريط لاصق ، والذى يطوق (جى) ذراعيه من الخلف مانعًا إياه من مجرد التفكير فى الحركة .. أو التملص ..

ـ نـ .. نـ .. نـ .. نعـ .. نعـ ...

الفتى يرتعش من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، والدموع تنحدر مدرارًا كنهرين ينبعان من مقلتيه ، لكن (عزت) لم يلن لبكاء طفلة ، فما بالك بشاب بالغ ؟؟

ـ سأجعلكما أنا عبرة لمن اعتبر ..

قالها بشراسة بالغة ثم أطبق أصابعه على الـ(تى شيرت) الذى يلبسه الفتى ، وحمله من جلسته كأنه وسادة ثم ألقاه نحو (توم) الذى تلقفه مقطبًا ..

ـ كمم هذا أيضًا ، ولتأت بهما يا (جى) عند بوابة الطوارئ الأمامية ..

واخترق الطريق متجاهلاً صياح الفتى ومحاولته التشبث بملابسه عبثًا :

ـ كلا .. الرحمة .. لا أريد أن أموت .. لا أريد أن ...

وكتمت قطعة اللاصق ما تبقى من الصياح فى حنجرته ..

الساعة التاسعة ودقيقة واحدة تمامًا ، (جى) يضع الرجل الأصلع والفتى الرياضى أمام بوابة الطوارئ ، ويتنحى تاركًا المجال لسلاح (عزت) المشهر فى وجهيهما ..

ـ استديرا ..

هتف بها (عزت) فى لهجة آمرة ، فاستدارت الضحيتان بسرعة ، وأعطى كل منهما ظهره لفوهة السلاح الجاهز على وضع الإطلاق ..

ـ ارفعا الأيادى عاليًا ..

امتثلا ، ونطق كل منهما فى أعماقه بعبارة ادخرها لوداع الدنيا ..

ـ صدر ضدكما الآن حكم بالإعدام ، لتتعلما فضيلة الصمت فى الجحيم الأخروى ..

واعتصر إصبعه زناد السلاح ، مردفًا بكل قساوة :

ـ الوداع أيها الـ ...

ـ يا زعيم .. انتظر !

جاء الهتاف من (توم) الذى هرع راكضًا من موقعه بين الركاب ..

ـ ما الأمر يا (توم) ؟!

سأل (عزت) منزعجًا من مقاطعته له فى اللحظات الأخيرة قبل تنفيذ أمر مهم ..

ـ تعال ، هناك ما يستحق أن تراه ..

ـ أما كان الأمر لينتظر حتى أنتهى مما بين يدى ؟

ـ أعتقد أنه لم يكن لينتظر ..

لهجة (توم) الجادة ، وطريقته فى حثه جعلته يدرك أن الأمر على قدر وافر من الأهمية التى تفوق أهمية ما كان بصدد فعله ..

ـ ليكن .. لكنى عائد لكما !

ألقى بها مهدئًا الرجل والفتى قبل أن يسير فى إثر (توم) الذى توقف أمام نافذة بيضاوية صغيرة من النوافذ المجاورة للمقاعد ..

ـ انظر ..

قالها (توم) مشيرًا لنقطة بعيدة عبر النافذة ، ثم ترك المساحة الضئيلة لتملأها رأس (عزت) الناظر إلى حيث أشار ..

كانت هناك سيارة وحيدة من سيارات مطار (لارنكا) تقترب فى بطء ، ولا تظهر ـ بفعل أشعة شمس الصباح المنعكسة على الزجاج الأمامى ـ هوية قائدها ، أو قائديها !

حدق (عزت) لوهلة ، ثم انطلق كالصاروخ نحو كابينة القيادة وخلفه (توم) ..

ـ ألم يرسل لك برج القيادة بشىء ؟!

أجاب الكابتن (جميل) متذمرًا :

ـ كلا البتة ..

سأل (توم) :

ـ ألا يحتمل أنهم قد استجابوا لمطالـ...

قال (عزت) مقاطعًا إياه :

ـ كل الاحتمالات متساوية الآن ..

ومندفعًا خارج الكابينة هتف به :

ـ اتخذ موقعك ، الجميع يتخذون مواقع الاستعداد ..

وعندما مر (توم) من أمام الأصلع والشاب الموليان وجهيهما شطر الباب ، هتف بهما :

ـ انبطحا أرضًا أيها الـ ..

استجابا على الفور وقد خمنا المعنى العام لعبارته من إشارة يده ، وعندما تمددًا فوق الأرض أكمل (توم) بهمس لم يسمعاه :

ـ .. أيها المحظوظان ..

اتخذ الخاطفون الأربعة مواقعهم المحددة سلفًا فى حالة هجوم قوات عسكرية على الطائرة .. (بل) بجوار جهاز التفجير ، و(جى) خلف صف من المقاعد ممتلئ بالركاب ، و(توم) فى كابينة القيادة ، و(عزت) بجوار النافذة البيضاوية للمراقبة ..

العربة مابرحت تقترب .. عيناه مثبتتان عليها ، لكن ..

لماذا تقترب بهذا البطء كأنها سلحفاة ؟

ترى .. هل يمكن أن يكون أخوه بالفعل داخلها ، وتحقق المهمة الانتحارية الانتقامية هذه نجاحًا لم يتوقعه ؛ وإن لم يسقطه تمامًا من حساباته ؟

هل يمكن أن تصدق تصريحات وزير الخارجية المصرى حقًّا ؟

لماذا إذن لم يخطروا الكابتن فى كابينة القيادة ؟

أم يكونون بصدد إنهاء الاختطاف بالقوة ؟

برغم أن (الإخوة) قد طمأنوه إلى أن المصريين لن يلجئوا للقوة فى حالة كهذه ، لاعتبارات جمة ، إلا أنهم لم يستثنوا الاحتمال فى وضعهم للخطة ..

كل شىء متوقع إذن ..

كل شىء ..

وعليه أن يكون جاهزًا لأى نوع من المفاجآت غير المتوقعة ..

العربة ما برحت تقترب ، وبداخلها (عمر زهران) / (منير المناديلى) .. وحيدًا بلا مرافق ..

قلبه ينبض كموسيقى (التكنو) بين ضلوعه وهو يقترب أكثر وأكثر من قلب المعترك ..

ترى ، هل تنطلى الخدعة المحكمة على الخاطفين ؟

هل حقًّا يشبه الجاسوس ، وهل يبرع فى تقمص شخصيته بما يكفى لإقناع أخيه بأنه هو ؟

وتحسس جيب بنطاله ، قنابل (الحرباء) مازالت فى مكمنها ..

تُرى ، هل ينجح فى استخدامها بالتناغم مع (دينـا) فى الوقت المناسب ؟

هل .. وهل .. وهل ..

انفجارات من الأسئلة فى حقل ألغـام قلبـه النـابض كموسيقى (التكنو) ..

ـ هيا يا (كارلا) ، نحن على الهواء ..

صاح بها (جيمس) ، وأمسكت (كارلا) بمذياعها لتهتف بحماسة مشبوبة :

ـ أعزائى المشاهدين ، فى تطور جديد لأحداث الطائرة المصرية المخطوفة والرابضة الآن فى مطار (قبرص) ، يبدو أن الخاطفين قد تراجعوا عن خطوة الإفراج عن أطفال ونساء الرهائن المحتجزين ، إذ لم تقترب العربتان اللتان يفترض أن تحملاهم من الطائرة حتّى الآن ، ولكن .. هناك عربة أخرى غادرت إحدى النقاط الأمنية فى ساحة هبوط الطـائرات ، وهى تقتـرب الآن فى اطراد مـن الطائرة ، تُرى .. ماذا تحمل ؟ أو بالأحرى من تحمل ؟

الجاسوس المصرى الـذى طلب الخـاطفون الإفـراج عنه ؟ قوات عسكرية ؟ مندوبـون للتفـاوض ؟ لا أحد يعلـم ، ولكنكم سوف تتـابعون الآن وعبر كـاميرات الـ (فى . بى . سى . نيوز) فقـط الأحـداث فى لحظـات وقوعهـا .. سأتنحى أنا وسأترك لزميلى (جيمس) مهمة نقل الحدث بالصورة وحدها ، ونعتذر مقدمًا عن عدم وضوح الصورة إلى الحد الذى نتمنـاه ، وذلـك ببسبب اضطرارنا للتصوير من مسـافة كيلومتر تقريبًا ، هـى المسـافة الآمنـة المسموح بالاقتـراب إلى حدهـا حـول الطائرة ..

وتنحت (كارلا) تاركة الحيز لعدسـة (جيمـس) ، وهمست فى أذنه مغتبطة :

ـ أرأيت مدى صدق حاستى الصحفية ؟

وتوقفت السيارة أسفل ظل الطائرة ..

تبادل (عـزت) مع (بـل) و(جـى) نظـرات استعداد ، وعاد الأول يلتهم العربة بعينيه من خلال النـافذة ..

بسمل (عمر) / (منير) وحوقل ، تذكر (دينا) وكلماتها ، ثم ...

هبط من السيارة ..

تجمدت أصابع (عزت) فوق سلاحه ..

وقف (عمر) / (منير) ثابتًا للحظة ، ثم رفع ناظريه للطائرة ..

ارتعدت يدا (عزت) لكنه حاول السيطرة عليهما ..

لوح (عمر) / (منير) بذراعيه إلى لا أحد ؛ كان متأكدًا من أنهم يراقبونه من خلف إحدى هذه النوافذ ..

ـ إنه هو يا زعيم ..

قالها (جى) من مكمنه وهو يراقبه عبر نافذة قريبة منه ، وظهر (توم) آتيًا من كابينة القيادة ليقول فى ثقة :

ـ هل أنزل له سلم الطائرة ؟

نظر إليه (عزت) مليًا ، ثم عاود إلى (عمر) / (منير) الملوح بذراعيه بالأسفل ثم .. أشار له بإبهامه أن يفعل ، فابتسم (توم) وبدأ ..

رأى (عمر) / (منير) السلم يهبط ، اطمأن قليلاً وصعد فى درجاته ..

توقف أمام مدخل الطائرة بنظرات خاوية ..

خطا بقدميه إلى داخلها ..

ـ مرحبًا .. سعيد بلقائك ..

قالها (توم) بابتسامة وصافحه ، عرفه (عمر) على الفور وإن لم تتبدل ملامحه بنظراتها الخاوية ..

ـ أين (عزت) ؟

ـ ارفع السلم يا (توم) ..

واستدار (عمر) / (منير) ليرى (عزت) واقفًا عند مدخل الدرجة السياحية ، مسندًا فوهة سلاحه إلى كتفه ..

ـ بالطبع يا زعيم ..

وتلاقت النظرات طويلاً ..

طويلاً ..

طويلاً ..

حتى انغلق باب الطائرة ، فاقترب (عزت) منه بخطوات بطيئة وهو يلتهم ملامحه بعينيه ، ولما أصبح دانيًا منه بشدة ...

ـ أوحشتنى يا أخى الحبيب ..

عانقه بحرارة ..

وابتسم (عمر) فى ارتياح شديد ، فى حين ظلت ملامح (منير) جامدة ، وظلت نظراته خاوية ، فى أحضان (عزت) ..

★ ★ ★

٦ ـ خطأ بسيط ..

ـ لواء (حفنى) !

تنبه اللواء على هتاف العميد (حرب) ، وكان غارقًا فى سنة من النوم على مائدة اجتماعات قسم المتابعة ..

ـ ماذا ؟!

قالها اللواء وهو ينفض الغشاوة الثقيلة عن رأسه ، ويرنو بعينيه إلى العميد الذى اتخذ مجلسه أمامه ..

ـ انظر ، الطائرة فى طريقها للإقلاع من (قبرص) ..

قالها العميد (حرب) وهو يشير إلى الشاشة المنتصبة على طرف المائدة ، والتى تنقل الإرسال المباشر لمحطة الـ (فى . بى . سى . نيوز) ..

ـ .. وكما ترون فالأحداث يبدو أنها تتخذ منحنى آخر أكثر خطورة وغموضًا ..

صوت (كارلا)، وصورة الطائرة وهى تتحرك ببطء فوق ممر الإقلاع من مسافة كيلومتر تقريبًا ..

- .. بعد أن هبط من نفترض كونه الجاسوس المصرى، وبعد صعوده للطائرة كما رأينا منذ دقائق، ها هى ذى الطائرة تستعد للإقلاع دون الإفراج عن راكب واحد، وكأن الخاطفين يخرجون ألسنتهم للسلطات المصرية !

- ما معنى هذا، عميد (حرب) ؟!

سأل اللواء (حفنى) مقطبًا وقد تطاير النوم وحل الاهتمام والجدية على محياه ..

- التسجيلات التى نجمعها عبر الكبسولة المستقرة فى أمعاء (عمر) بالصوت والصورة مبشرة حتى الآن، (عزت المناديلى) ابتلع الطعم فيما يبدو ..

- وماذا عن (عمر) ؟!

- يبلى بلاءً حسنًا فى تقمص الشخصية ..

- والحسناء ؟!

- (دينا واصف) تستعد للتحليق خلف الطائرة داخل المروحية التابعة لنا، والتى زودناها بجهاز التشويش على الرادارات الكاشفة ؛ المستوحى من جهاز مماثل فى طائرات (الشبح) الأمريكية المقاتلة، وذلك حتى لا يظهر أثر للمروحية على أجهزة (نفرتارى) ..

- ألم يدل أى شىء فى التسجيلات التى تتلقونها على ما يبغى الخاطفون اتخاذه من خطوات تالية ؟!

- ليس بعد يا سيدى ..

ثم استطرد العميد (حرب) مفسرًا :

- .. إن الموجات اللاسلكية من معدة (عمر) وفق أطوال موجية معينة لاتستخدم فى (قبرص)، وتستقبلها (دينا) على جهاز حاسبها الآلى النقال - ويجب أن تظل على مسافة لاتزيد على ١٠ كيلومترات من محل الإرسال - ثم تعيد بدورها بثها إلينا ها هنا بعد أن تتحول أوتوماتيكيًا إلى صيغة رقمية شفرية، ونستقبلها نحن ثم نعيد بناءها لنستخلص الصوت والصورة

الشبحية المتدنيـة الجودة على أجهزة خاصـة .. كل هذا يصنع فجوة زمنية مقدارها دقيقتان بالتحديد بين وقـوع الحدث ومتابعتنا له ..

قـال اللـواء (حفنى) وهـو يخلـع منظـاره وينظف عدساته بمنديل خاص :

ـ ويلى من التفاصيل !

ـ بعبارة أخرى ياسيدى : هم لم يتحدثوا عن خطوات تالية بعد ، ولو تحدثوا فلن نعرف بشىء قبـل مـرور دقيقتين على هذا الحديث !

ثم تنهد العميد (حرب) وأضاف :

ـ وإن كان الوضع الذى تتخذه الطائرة للإقلاع يدل على أنها سوف تقلع شمالاً !

وضع اللواء (حفنى) المنظـار فى مكانه على وجهه ، وتسـاءل :

ـ شمالاً ؟!!

ـ لن نستطيع تحديد الوجهة قبل أن تقلـع الطـائرة بالفعل ، وإن كانت (أوروبا) ودول حوض المتوسط جميعها تصلح هدفًا ..

ـ هذا قد يحمل دلالات خطيرة ، عميد (حرب) ..

ـ أدرى ولكن .. ليس أمامنا سوى الانتظار ..

★ ★ ★

ضحك (عمر) / (منير) بنبرة عالية مقلدًا ضحكـة الجاسوس الأصلى بمهارة ، وربت على كتـف (عزت) قائلاً :

ـ أحسنت صنعًا يافتى .. هذا هو أخى الذى أعرفه !

تبسم (عزت) فى فخر ، وقال مراقبًا الأرض المبتعدة عبر زجاج كابينـة القيـادة التى يجلسـان فيهـا رابطى الأحزمة :

ـ لى فضل التنفيذ ، ولهم فضل التخطيط ..

ـ الإخوة ، هـه ؟!

حدق (عزت) فى أجهزة الملاحة الجوية التى يعمل عليها الكابتن (جميل) بمفرده ، وقد ازدادت قسمات الأخير اكفرارًا ، ولم يرد الأول بشىء سوى بسمته الواثقة ..

- بارعون هم حقًا ؛ لولا أنهم كذلك لما تعاونت معهم ..

- أنت أيضًا بارع يا (منير) ، لولا خطأ بسيط أوقعك فى يد الأمن المصرى !

- كم من حدث جلل ينشأ بسبب خطأ بسيط ..

- أصبحت حكيمًا وأنا لا أدرى ..

- لا تذكرنى بتلك الأيام ..

- تجربة مرة ؟!

- بالقطع ..

- عاملوك بقسوة ؟!

- وما الذى يهم ؟! ها نحن أولاء نرد لهم الصاع اثنين ..

ضحك (عزت) هذه المرة ، وقال بعينين تألقتا بزهوة الظفر :

- قل عشرة ..

وتألقت عيناه أكثر وأكثر ، وهو يسارع بفك حزام الأمان ، ويجذبه من يده قائلاً فى إلحاح منتش :

- تعال .. انهض معى لأريك شيئًا ..

لم يكن أمام (عمر) / (منير) إلا الامتثال ، وسار خلف (عزت) بخطوات واسعة ، ولم ينس أن يلقى بنظرة خاصة على السفير المصرى وسكرتيرته المتكومان فى ركن قصى ..

نظرة خاصة جدًا ..

ثم ..

- انظر ..

ورفع (عزت) الملاءات ، لتظهر خمس جثث هامدة غارقة فى الدم ..

ـ رجال الأمن ومساعد الطيار المزعج ؛ خمس ضحايا فداء لك ..

فى ظروف أخرى لم يكن (عمر) ليقاوم الانقضاض عليه وإشباعه ضربًا ، لكنه الآن مضطر للابتسام ولضم الوغد إلى صدره هاتفًا باستحسان :

ـ هذا ما كنت أنتظره من أخ أصغر وفى !

ألقى (عزت) بالملاءة فوقهم مجددًا ، والتفت إلى باب الطوارئ القريب ، ثم سار خطوات قليلة حتى توقف أمام الأصلع والشاب الرياضى المنبطحان أرضًا ..

قال :

ـ كنت أستعد لقتل هذين أيضًا عندما أتيت أنت ، لننه أمرهما الآن ..

ورآه (عمر) يرفع السلاح ، ورآه يستعد للإطلاق ، ورأى الجسدين البريئين يرتجفان ، ولم يطق أن يظل واقفًا فى صمت ..

ـ لاداعى ..

فوجئ (عزت) بشقيقه يقولها وهو يبعد ماسورة السلاح عن الهدف ، فقطب ولم ينطق ، فى حين قال (عمر) وهو يلكمه فى كتفه مداعبًا :

ـ .. كن عاقلاً ، ووفر طلقاتك لأمور أهم ..

حدق فيه (عزت) للحظة ، ثم هز كتفيه ببساطة وقال فى لهجة عدم اقتناع :

ـ ليكن .. ربما كنت على حق ..

وسار خطوة فى اتجاه الكابينة ، ثم التفت إلى (عمر) قائلاً بابتسامة مفاجئة :

ـ .. ثم إن بين يدى صيدًا ثمينًا حقًا .. (ديك رومى) لو كنت مازلت تحبه ..

ـ مازلت أحبه ولكن ..

عاد (عزت) يجذبه حتى توقفا أمام السفير المقيد الفم والأطراف ، وقال :

ـ هذا الرجل هو سفير (مصر) فى (واشنطن) بنفسه ، ما رأيك ؟!

لم ينطق (عمر) / (منير) ..

ـ هل نجهز عليه الآن ؟!

وعاد يشهر السلاح ، فصاح به (عمر) منزعجًا :

ـ قلت لك : وفر ذخيرتك لأمور تستجد ..

خفض (عزت) سلاحه ببساطة ، ولم يبد متضايقًا هذه المرة وهو يقول :

ـ لا مشكلة .. سيموتون جميعًا على أى حال !

دوت العبارة فى أذنى (عمر) / (منير) كألف جرس ، بينما عاد (عزت) ليجلس فوق مقعده ..

ـ هل سنتجه الآن إلى دولة أخرى ؟!

سأل (عمر) / (منير) فى حذر وهو يجلس إلى جواره ، فابتسم (عزت) وهو يقول فى غموض متعمد :

ـ لا تقلق يا أخى الحبيب .. كل شىء محسوب بمنتهى الدقة ..

ثم إن عيناهما التقت ، والأخير يردف :

ـ وإننى لأضمن لك أن تكون الخطوة القادمة مفاجأة خارقة .. أخبرتك أن (الإخوة) هم المخططون ..

ـ هذا مطمئن ..

قالها (عمر) ومشاعره تناقض القول تمامًا ..

ـ ستطمئن أكثر عندما تعلم أن الأخ (جيسون) بنفسه هو الذى وضع الخطة .. لعلك لم تنس بعد أنه هو من جندك فى صفوف الإخوة منذ أعوام خلت ..

لم يرد (عمر) / (منير) ..

تجاهل شعوره بالخطر ، وتذكر فقط أن وراءه مهمة واجبة التنفيذ ..

وأنه كلما أسرع ، كلما اكتسب فرصة أداء أعلى ..

وتحسس جيبه ..

ها هى ذى قنابل (الحرباء) ..

ـ سأذهب إلى دورة المياه .. أنت تعرف طول الرحلة من (القاهرة) إلى (لارنكا) ..

قالها (عمر) / (منير) ، ورد (عزت) ببساطة :

ـ لديك أربع دورات مياه مختلفة ، اختر لنفسك أنسبها ..

ونهض (عمر) ..

وتحسس قنابل (الحرباء) فى جيبه مجددًا ..

★ ★ ★

ـ انتهت المهمة بأسرع مما توقعت ..

قالتها (كارلا) وهى تتخذ مجلسها إلى جوار (جيمس) ، فى مقدمة سيارة البث التابعة للمحطة ..

ـ ومن قال إنها انتهت ؟

سألها باسمًا بسمته المحيرة وهو يلهو بضغط أزرار حاسبه الآلى الكفى الخاص ، فقالت بخيبة أمل :

ـ لقد انتهت بالنسبة لنا على الأقل ..

ـ ومن قال هذا أيضًا ؟

قالت وقد أشرق وجهها :

ـ (جيمس) .. لديك أخبار جديدة .. صحيح ؟

ـ بالفعل ..

قالها وقد اتسعت بسمته المحيرة ، فسألته بلهفة عارمة :

ـ لن نسافر ؟

قال مشيرًا إلى سطور متراصة فوق شاشة حاسبه الكفى :

ـ بل سنسافر ، ولكن إلى (اسطنبول) .. لدينا حجز على طائرة (لوفتهانزا) المتجهة إلى هناك بعد نصف الساعة ..

ـ (اسطنبول) ؟

رددتها بتعجب ، ثم أردفت متسائلة :

ـ ولماذا (اسطنبول) ؟

قال وهو يدير مفتاح السيارة :

ـ السؤال الأصح هو : لماذا (اسطنبول) بالذات ؟

التفتت إليه وقد طفحت عيناها بعلامات الاستفهام والتعجب ، فتابع وهو يضغط دواسة الوقود :

ـ والجواب الذى لدى لن يضيف لك الكثير : ليتنى أعلم ..

وانطلقت السيارة ، فى حين شعرت (كارلا) بحمم بركانية ساخنة ، تغلى تحت جلدها ..

★ ★ ★

بين المقاعد سار (عمر) / (منير) ، يجول بعينيه فى كل الأنحاء ..

الركاب جميعهم يرمقونه بكراهية واضحة ، يودون لو يقتلونه بأيديهم العارية ، صمتهم ينطق بأقذع مما يمكن أن ينطق به لسان ..

(بل) الزنجى هو أقربهم إليه ، ثابت كالديدبان فى

مكانه بجوار إحدى النوافذ ، سلاحه بين يديه وعيناه تشبهان عينى ذئب يقظ ..

ليتركه للنهاية ، يحتاج لمهارات خاصة فى التعامل مع ذلك الصامت أبدًا ..

(توم) هناك يعمل على حاسبه الآلى ، سلاحه بين أحضانه ، نحوله يجعل منه أشبه بهيكل عظمى هارب من مشرحة كلية الطب ..

المنهمك فى العمل يتنبه لأقل مؤثر خارجى ، هذا أيضًا لن يصلح الآن ..

(جى) جالس هناك فوق مقعد خال خاص بالمضيفين وبين يديه وجبة طعام استعارها من المطبخ ، سلاحه بجواره ، وظهره له ..

لِمَ لا ؟ سيبدأ بـ (جى) الدموى برغم كل المخاطر ..

سار الهوينى وتحسس قنابل (الحرباء) فى جيبه من جديد ..



وكأى بشرى ، شعر (عمر) بألم مفاجئ مصحوب بخدر طويل ..

تجاهل كل نظرات الكراهية السوداء ، وابتلع نظرة المقت الحادة التى وجهتها إليه امرأة محجبة احمر وجهها وانتفخ من كثرة البكاء الصامت ، وصغيرتها بين يديها تحاول الفكاك منها بحس طفولى شقى ..

عانت هذه المرأة كثيرًا فيما يبدو ؛ هكذا فكر .. وكان محقًا ..

أخرج قطع القماش الأربع وأمسك بها فى حرص شديد بين إصبعيه السبابة والإبهام ، اقترب من (جى) أكثر ، أصبح دانيًا من كتفه بشدة عندما ..

ـ هذا اللحم رائع يا (تـ ..

عندما استدار (جى) فجأة واقفًا فضرب بذراعه كوع (عمر) / (منير) ، مصيبًا العصب الزندى فيه تحديدًا ..

وكأى بشرى ، شعر (عمر) بألم مفاجئ مصحوب بخدر طويل ، وسقطت القنابل الأربعة من يده لتتناثر فوق الأرضية ، لكنها لم تتلون بلونها إذ لم تلتصق بها كفاية ..

تأوه (عمر) بصوت (منير)، فصاح (جى) معتذرًا بفم مملوء بالطعام :

ـ آسف ، سيد (منير) ..

ـ لا عليك ، بسيـ ..

وبتر (عمر) عبارته إذ دهمه شعور مباغت بالرعب ..

فحيث سقطت القطع الأربعة ، انفلتت الطفلة الصغيرة من بين يدى أمها المحجبة الباكية ، وبنفس الحس الطفولى الشقى مالت نحو إحدى القطع لتمسكها ..

حتى الآن لم تحدث المشكلة ، لكنها ستحدث حتمًا إذا ما ضغطت (دينا) من على البعد زر تشغيل مولد الذبذبات ..

القطع تناثرت ، ومعنى هذا أنها ستظهر متفرقة على شاشة (دينا) ..

ومعنى هذا أيضًا أن (دينا) ستضغط الزر ..

ومعنى هذا بالتالى أن الذبذبات ستصيب الطفلة ..

ومعنى هذا أخيرًا كلمة واحدة : كارثة ..

كيف يتصرف ولا يلفت إليه النظر أو الانتباه ؟

كيف ؟

* * *

أربع نقاط ظهرت فجأة فوق الشاشة أمام (دينا) داخل المروحية المتابعة للطائرة ..

أربع نقاط متفارقة للغاية ، تفرقت من نقطة مركزية واحدة ..

ـ ما هذا ؟

غمغمت (دينا) سائلة نفسها ، وقد أدهشها الأمر ..

توقعت أن يتم الأمر بصورة طبيعية ، وأن تتفرق النقاط نقطة تلو الأخرى بتسلسل زمنى قد يطول ، ولكن ..

ـ ترى ، هل ؟

عادت تغمغم وقد أوجست خيفة ، غير أنها لم تجد سؤالاً محددًا تفوه به ..

ـ لا شأن ، لا بد أن لديه تفسيرًا مقنعًا ..

هزت كتفيها وهى تقولها بتسليم على سبيل إمداد نفسها بالطمأنينة ، ثم أردفت لتمد نفسها بالمزيد :

ـ ليقم كل منا بدوره على خير وجه ..

وقربت بنانها ليلامس زر توليد الذبذبات القاتلة ..

* * *

لو نهى الطفلة عن فعل هذا فسيثير الشك فيه حتمًا ..

لو انحنى بكل بساطة والتقط القنابل فربما يثير عواصف من الأسئلة والشكوك ..

ليس أمامه إذن سوى حل وحيد ..

الطفلة تقترب بيدها الضئيلة من إحدى قطع القماش ، والأم انتبهت لانزلاقها من بين يديها كالمعتاد بعد فوات الأوان ..

ـ (ندى) .. ماذا تفعلين ؟

ـ علىّ أن أعود إلى الكابينة بسرعة ، نسيت شيئًا مهمًا ..

قالها (عمر) / (منير) لـ (جى) بسرعة ، ثم استدار تاركًا البدين يقول :

ـ ألا تريد أن تجرب بعض اللحم يا سيدى ؟

لم يرد (عمر) ، وإنما سار خطوة واحدة ، تظاهر بعدها أنه تعثر فى مقعد ، ثم سقط منكفئًا على وجهه ..

ـ سيد (منير) ، أأنت بخير ؟

صاح بها (جى) وهو يرى (منير) يسقط بجوار الطفلة تمامًا ، وابتسم (عمر) فى أعماقه إذ حمى الطفلة من الخطر بعد أن التصقت القنابل على قماش قميصه ..

ـ أجل ..

قالها (عمر) / (منير) وهو يعتدل جالسًا ، واطمأن أكثر عندما أخذت القطع لون قميصه فلم يعد لها أثر ..

ـ ابتعدى أيتها الملعونة الـ ...

صاح بها (جى) فى وجه الطفلة ـ الذاهلة من اختفاء ما كانت تريده فجأة ـ بغلظة ، فارتسم تعبير بكاء على وجهها وأسرعت الأم تجذبها إليها ثم تدفنها فى حجرها ..

ـ تعالى هنا ..

وبكت الطفلة فى صدر الأم الخائفة ، فى حين اعتدل (عمر) / (منير) واقفًا برشاقة ..

ـ دعك منها يا (جى) ، لقد تعثرت عن غير قصد ..

قال (جى) محاولاً أن يبدو متعاونًا :

ـ تبدو عصبيًا بعض الشىء ، سيد (منير) ..

ربت (عمر) على كتفه اللحيم مشجعًا ، وقال :

ـ لاتشغل نفسك بى ، واعتن بالأمور هنا جيدًا يا (جى) ..

ثم اندفع نحو الكابينة على الفور ، ولاحقه هتاف (جى) العالى :

ـ لا تشغل نفسك أنت ..

كان يفكر : هل مازال خطر الذبذبات قائمًا ؟

وعندما اختفى فى نهاية الممر ، قطب (جى) وغمغم :

ـ تُرى ، متى أخبره الزعيم باسمى ؟

* * *

قبل أن يلامس بنان (دينا) الزر ، تغير توزيع النقاط فوق الشاشة فجأة ..

لقد اندمجت النقاط مجددًا فى توزيع غريب الشكل ، ولايمكن بأى حال أن ينم عن إمكانية أن تكون القنابل موزعة على ملابس أربعة أشخاص ..

ـ ما الذى يحدث بحق السماء ؟

غمغمت بها (دينا) فى وجل ، ثم أردفت وقد أحاطت راحتها بذقنها :

- يبدو أن الأمور لا تسير على ما يرام ..

وأسقط فى يدها ..

هل تشغل مولد الذبذبات ؟

أم ؟

يالها من حيرة ..

- نعم .. هذا هو الحل ..

وضغطت بعض أزرار حاسبها الآلى ، ثم قالت عبر الذراع المعدنى الممتد من أذنها إلى فمها :

- المكتب (١٧) ؟! سيادة العميد (حرب) ؟ أنا (دينا واصف) !

* * *

- فى الغالب هو خطأ بسيط .. التسجيلات تدلنا على أن ذراع (جى) الدموى قد اصطدم به ، فتظاهر بأنه تعثر ليجمع القنابل على صدره مرة أخرى ..

قالها العميد (حرب) بلهجة تقريرية بحتة ، وتنهد اللواء (حفنى) بعمق قبل أن يسأل على طريقة خير الكلام ما قل ودل :

- والآن ؟!

صمت العميد (حرب) ، ثم قلب شفتيه وقال :

- كل شىء ممكن وغير مستبعد يا سيدى ..

- هل سيعيد الكرَة ؟

- سيفعل إن سمح الوقت يا سيدى !

قطب اللواء (حفنى) متسائلاً :

- ماذا تعنى ، عميد (حرب) ؟

أشار العميد (حرب) إلى خريطة إلكترونية ظهرت فوق الشاشة على طرف المائدة ، وقال بعد أن أطلق زفرة حارة :

- الطائرة الآن تحلق فوق البحر المتوسط فى طريقهما للشمال الغربى ، الخبراء يقولون إن الوجهة الملاحية لها تشير فى الغالب إلى (اسطنبول) ..

ـ هل ستهبط هناك ؟

ـ لا أحد يدرى ياسيدى ، (عزت المناديلى) قال لـ (عمر) عبر التسجيلات إن الخطوة القادمة سوف تكون مفاجأة .. ثم إن ...

وصمت الرجل كأن الكلمات قد هربت منه ، فسأله اللواء (حفنى) فى حزم :

ـ إن ماذا ، عميد (حرب) ؟!

ـ الطائرة تحلق على ارتفاع منخفض للغاية !

وأردف فى لهجة اختلط فيها الجزع بالرصانة اختلاطًا عجيبًا :

ـ وقبل أن تسألنى عن معنى ذلك يا سيدى ، أجيبك بأنه لا يوجد معنى محدد حتى الآن ، لكن الخبراء يدرسون كل الاحتمالات .. والاحتمالات كلها مرعبة يا سيادة اللواء .. مرعبة حتى التداعى !!

★ ★ ★

دلف (عمر) / (منير) إلى كابينة القيادة ، دون أن ينسى إلقاء النظرة المعتادة على السفير المصرى المقيد فى الركن ..

ـ هل عدلت من مسارك الآن ؟!

أجاب الكابتن (جميل) سؤال (عزت) فى إرهاق بالغ :

ـ أجل ؛ الشمال تمامًا عوضًا عن الشمال الغربى ، برغم أن فى ذلك خطر جمّ ..

زاجرًا دفع (عزت) بفوهة سلاحه فى كتفه وهو يهتف :

ـ لا تتدخل ؛ قلت لك .. والوقود ؟

قال الكابتن فى ثبات برغم ما يعانيه :

ـ يكاد يكفى للوصول إلى مطار (اسطنبول) .. لم نتزود بالوقود فى (لارنكا) بناءً على أوامرك ..

هز (عزت) رأسه فى رضا ، وعاد يسأله :

ـ والارتفاع ؟!

ـ أقل ارتفاع يمكن أن تحلق به طائرة مدنية ، ليس أكثر من بضعة مئات من الأمتار فوق سطح البحر !

ـ هل يتولى الطيار الآلى الآن القيادة ؟!!

ـ أجل ، كما أمرت !

ثم إنه التفت إلى (عزت) قائلاً وقد بدأت نبرته فى الاحتداد :

ـ .. وإن كنت أجهل الأسباب التى تدفعنا إلى الطيران فى وضع كهذا ، لايمكن أن يقودنا إلا إلى كارثة محققة !

ابتسم (عزت) ، وقال فى هدوء لم يتوقعه (جميل) :

ـ لا تسأل عن أسباب لن يتسنى لك أبدًا الاستفادة من معرفتها ..

ضيق الكابتن (جميل) عينيه وسأله :

ـ ولِمَ ؟!

ـ لأنها لحظتك الأخيرة فى هذا العالم !

واخترقت رأس الكابتن رصاصتان ، تهاوى بعدهما على مقعده جثة بلا حياة ..

ومن العسير حقًّا أن نصف هنا ما شعر به (عمر) لحظتها ؛ فى وقفته عند مدخل الكابينة ..

فهو عصىّ على الوصف بحق !!

★ ★ ★

٧ ـ خطأ فادح ..

ـ أخى الحبيب .. متى عدت من دورة المياه ؟!!

هتف بها (عزت) مرحبًا بـ (عمر)/(منير) فى سعادة غامرة ، وحار (عمر) فى الانفعال المناسب الذى يرسمه على وجهه إثر الجريمة البشعة التى شاهدها ترتكب أمامه منذ لحظة ..

أو أقل ..

ـ .. ما بك ؟ لم كل هذا التجهم ؟!!

سأله (عزت) وهو يدنو منه ، فعقد (عمر)/(منير) حاجبيه قائلاً :

ـ هل قتلت قائد الطائرة ؟!

غمزه (عزت) وهو يقول فى حبور :

ـ ضحية جديدة من ضحايا وفائى لك ..

سأله (عمر) فى جدية :

ـ ومن سيقود الطائرة الآن ؟!

ضحك (عزت) عاليًا ، وقال :

ـ هذه هى المفاجأة التى أخبرتك عنها !

ـ أى مفاجأة ؟!

نظر (عزت) فى ساعة معصمه ..

ـ لاوقت للحديث ، ستراها بنفسك الآن !

واستدار واضعًا سلاحه فوق مقعد خال ، ثم مد يده إلى مكان ما فى منظومة الأجهزة الملاحية المعقدة للطائرة ، وأخرج منها شيئًا ما ..

ـ الصندوق الأسود !

ورفع (عزت) الصندوق أمام عينى (عمر)/(منير) الذاهلتين ..

ـ .. أنت تعلم أننى لا أحب ترك أى آثار خلفى ، عملاً بمبدأ الجريمة الكاملة !!

وضحك ثم جذب (عمر) / (منير) خلفه ..

وغادرا الكابينة ..

★ ★ ★

ـ سيادة اللواء ..

ـ تحدث ، عميد (حرب) ، فلست نائمًا .. عيناى آلمتانى فأغلقتهما ؛ هذا كل ما هنالك !

ـ يبدو أن فى الأمر كارثة ..

ـ تحدث دون مقدمات ..

ـ عدلت الطائرة من سيرها إلى جهة الشمال الجغرافى..

ـ ألن تذهب إلى (اسطنبول) ؟؟!

ـ لن تذهب إلى أى مكان ياسيدى ، بهذا الاتجاه وهذا الارتفاع فسوف تصطدم بحبل من جبال (توروس) المرتفعة بعد الربع ساعة فقط !

ـ حقًا ؟؟! والخاطفون ، هل سيقدمون على الانتحار بداخلها ؟؟

ـ لا نعلم شيئًا يا سيدى ، مازالت نتائج التسجيلات سلبية ، والفجوة الزمنية بين الإرسال والاستقبال تشكل فارقًا خطيرًا الآن ..

ـ الحسناء مازالت خلف الطائرة ؟؟!

ـ (دينا واصف) مازالت تواصل المتابعة القريبة من داخل المروحية ، بدونها نحن صم بكم عمى !

ـ أتعشم أن يتصرف تلميذك بشكل حسن ..

ما أتمناه أن تتاح له فرصة التصرف ياسيادة اللواء ..

وتنهد العميد (حرب) ثم قال :

ـ أتمنى أيضًا ألا يكون الخبر المتصدر صحف الغد ، يتحدث عن كارثة تحطم الطائرة المصرية المختطفة !!

★ ★ ★

انفتح باب الطوارئ المتوسط، واندفع تيار شديد القوة من الهواء فى الوجوه الأربعة ..

(عزت المناديلى) .. (توم العبقرى) .. (بل) الزنجى .. و(عمر) / (منير) ..

انعقد حاجبا الأخير وهو يسأل محدقًا فى زرقة البحر الممتدة بالأسفل :

ـ ماذا سنفعل يا (عزت) ؟!

قال (عزت) ببسمة تحمل رائحة الغموض النفاذة :

ـ أصبحت عجولاً للغاية يا أخى الحبيب !

فكر (عمر) وفكر ، وعجز عقله عن إيجاد تفسير منطقى لما يحدث ..

ـ أحضرتُ خمس سترات يا زعيم ..

ندت العبارة عن (جىٍ) الدموى الذى جاء من مدخل الدرجة السياحية ، حاملاً كومة من المغلفات الصفراء اللون ، يشابه حجم كل منها حجم حقيبة يد صغيرة ..

وأدرك (عمر) ماهيتها على الفور ..

إنها (سترات نجاة) ؛ تلك السترات التى يجدها

المسافر دومًا أسفل مقعده ليستخدمها فى حالات الطوارئ القصوى : سقوط الطائرة فى البحر مثلاً !

ولكن ..

ـ وزعها علينا يا (جى) بسرعة ..

أخذ كل منهم سترة وفض تغليفها بسرعة ، حتى جاء الدور على (عمر) / (منير) ، فوقف ذاهلاً ورفع عينيه إلى (عزت) الذى عاد لضحكاته الهستيرية العالية ..

ما بك يا أخى الحبيب ؟!

ـ أحتاج لأن أفهم يا (عزت) ، مازلت أخاك الأكبر لو تذكر ..

قالها (عمر) / (منير) متقمصًا حالة الغضب ببراعة ، فتوقف (عزت) عن الضحك وقال دون أن تزول بسمته ، ودون أن يتلاشى الحس الفكاهى من نبرته :

ـ بالفعل ، هذا شىء لايُنسى .. عذرًا يابن أبى !

ثم إنه استطرد مرتديًا السترة فوق ملابسه بالفعل :

ـ الخطة بسيطة ، هى البساطة نفسها التى تتميز بها كل خطط (جيسون) ، وتحقق المعادلة الصعبة بين الهروب الذكى والضربة الإعلامية الموفقة .. سنقفز من هنا !!

اتسعت عينا (عمر) / (منير) وهو يحدق فى سبابة (عزت) المشيرة عبر البوابة المفتوحة ، وغمغم فى حس مفعم بالذهول الصادق :

ـ ماذا ؟!

ضحك (عزت) مرة أخرى ، وقال وهو يرفع الزمام المنزلق للسترة إلى أعلى :

ـ .. سنسقط فى عرض البحر ، وبرغم اطمئنانى لإجادتك للسباحة إلا أننا جميعًا سنجذب هذا الحبل السفلى فتنتفخ السترة بالهواء ونطفو على سطح الماء كقوارب الفلين ، هنا سيتدخل الإخوة عن طريق زورق بخارى يمخر عباب المياه فى طريقه نحو نقطة إحداثية متفق

عليها ، وينتشلوننا عائدين بنا إلى ميناء (نابولى) الإيطالى ..

غمغم (عمر) سائلاً بنفس الحس المفعم بالذهول :

ـ والطائرة ؟!

أجابه (عزت) ببساطة وهو ينظر إلى رجاله :

ـ ستتحطم فور اصطدامها بأول قمة من قمم سلسلة (توروس) ، وإن كان حظها حسن ولم تصادف هذه القمة ، فستسقط فور نفاد الوقود !

ـ رباه !

نطق بها (عمر) وهو يتخيل المشهد أمام ناظريه ، ياله من حادث بشع !

ـ ما رأيك فى هذه المفاجأة يا أخى الحبيب ؟

ظل (عمر) / (منير) جامدًا لا يدرى ما السبيل إلى تصرف حكيم ، بينما ضمّ (عزت) شفتيه وصفر طويلاً قبل أن يقول :

ـ واو .. نادرًا ما أنجح فى إثارة دهشتك إلى هذه الدرجة ..

ناول (جى) (عمر) السترة الباقية وهو يقول فى ضجر :

ـ هيا .. ارتد سترتك ، سيد (منير) ..

تجاوز (عمر) ذهوله بسرعة ، وبدأ يعتصر ذهنه مفكرًا فى وسيلة ينجو بها من هذا المأزق ، وينقذ بها الطائرة من المصير المشئوم الذى ينتظرها عند الجبال ..

لكن عقله بدا كالصفحة البيضاء من غير سوء !

ـ هيا يا بن أبى .. ارتد السترة وتأهب ، بقى أقل من القليل ..

عدل (توم) بأصابعه من وضع شعره الأشقر المتطاير بفعل تيار الهواء العاتى ، وهو يقول مؤمّنًا على عبارة (عزت) الأخيرة :

ـ بقيت ثلاث دقائق فحسب ونقفز ..

هيا يا (عمر) .. فكر يا رجل ولاتقف متصلبًا كجذع شجرة عجوز ، على الأقل حتى لاتثير فيك الشكوك !

وفكر (عمر) وفكر .. حتى انبثق فى ظلمة أفكاره شعاع ضئيل من النور ..

.. ضئيييييل للغاية !

ـ أحتاج للذهاب إلى دورة المياه !

ـ ماذا ؟! أهذا وقته ؟!

قالها (عزت) فى استنكار باسم ، ثم تابع :

ـ .. ثم .. ألم تكن هناك منذ ثوان ؟!

قال (عمر) / (منير) ملوحًا بكفيه أن لا :

ـ كلا ، تعثرت وعدت على الفور ..

ثم استدار نحو مدخل الدرجة السياحية ، وهو يضيف :

ـ .. لن أتأخر لأكثر من دقيقة !

ـ انتظر ..

هتف بها (عزت) فى لهجة أمر صارم ، وانتبه إلى أنه لايحمل سلاحًا فتناول السلاح من بين يدى (توم) وهو يتابع بنفس اللهجة :

ـ .. وارفع يديك لأعلى إن تكرمت .

توقف (عمر) / (منير) رافعًا ذراعيه واستدار مدركًا أن اللعبة قد انكشفت ، فى وقت غير مناسب بالمرة .. لكنه آثر أن يستمر فى التمثيل إلى أبعد مدى :

ـ ماذا دهاك يا (عزت) ؟!

ضحك ، وقال :

ـ كف عن هذا يا رجل ، أم أنك قد اندمجت إلى حد تصديق نفسك ؟!

رسم (عمر) / (منير) تعبير استغراب على وجهه ..

ـ هه ؟!

ـ ألا تصدق أننى كشفت الأمر ؟! اعلم إذن ليس هناك من بين الإخوة الذين نعرفهم من يحمل اسم (جيسون) .. الذى جند أخى كان اسمه (جبسون) ؛ بالباء !

صمت (عمر) / (منير) وقد أدرك أن اللعين قد قاده إلى فخ بسيط ، بينما ضحك (عزت) ملء شدقيه وهو يقول :

ـ أخى الذى أعرفه كان يأخذ منى السلاح ليقتل الرجلين بنفسه ، ولا يضيع وقته فى إقناعى بجدوى الذخيرة المتبقية .. ثم هناك خطأ فادح آخر قد وقعت فيه ؛ إن أخى يمقت الديوك الرومية ولا يطيقها على الإطلاق !

صمت (عمر) ولم ينبس ببنت شفة ، لم يعد هناك ما يقال : هكذا فكر !

ـ .. أشهد لك بالبراعة فى تقليده ، لكن كان الأجدر بك أن تدرس التفاصيل الدقيقة حتى لاتفلت منك أمور تافهة كهذه ..

واقترب (عزت) منه عدة خطوات ، حتى تواجها تمامًا ، وفهم الرجال الباقون الأمر ضمنيًا فشهروا أسلحتهم باتجاه (عمر) / (منير) ؛ فيما عدا (تـوم) بالطبع ..

ـ .. الآن ، هنيئًا للمصريين بضحايا الطائرة المنكوبة ، لكنى لن أترك لهم أخى أبدًا .. سيفرجون عنه شاءوا أم أبوا ..

واشتعلت العيون بالنظرات ، قبل أن يمد (عزت) يده الجريحة وينزع قناع (منير) الدقيق فى قسوة متعمدة ..

وظهر وجه (عمر زهران) ، المتجهم ..

ران الصمت مدة طويلة ، قبل أن يقول (عزت) وقد فقد كل مرحه وسعادته دفعة واحدة :

ـ ماذا تنتظر الآن ؟!

هزّ (عمر) كتفيه راسمًا بشفتيه تعبير (لا أعرف) الشهير ..

ـ .. أن أقتلك ؟!

فعلها (عمر) ثانية ، فهز (عزت) رأسه بالنفى وقال :

ـ .. كلا ، لن أفعلها ..

وجذبه من ملابسه فى غلظة فاستجاب (عمر) ، ودفعه (عزت) نحو البوابة المفتوحة قائلاً فى سادية :

ـ سألقيك من هنا بلاسترة نجاة .. وستتولى أسماك القرش الجائعة أمرك ..

أمسك (عمر) بقبضتيه حافة البوابة السميكة ، وكادت الدفعة تفقده اتزانه ليسقط ، لكنه تماسك ناظرًا إلى الارتفاع الشاهق الذى تحلق به الطائرة ..

وإلى البحر بالأسفل ..

ـ الوداع يا ...

قالها (عزت) وقد احمرت عيناه دافعًا فوهة السلاح فى ظهر (عمر) ، وأردف مستعيدًا بعضًا من غبطته السابقة :

ـ .. أيًا كان اسمك .. هيا ، اقفز !

ولم يكن أمام (عمر) إلا أن يفعل ..

أو يقتل ..

أو تنقذه معجزة بخيار ثالث !

عندما ..

- اتركه ، وليلق كل منكم بسلاحه ..

لم يكن الصوت غريبًا ، خاصة وهو يعيد العبارة بإنجليزية متقنة ..

كان صوت ..

- سيادة السفير ؟!

قالها (عمر) بسعادة وهو يحدق فى المعجزة التى تراءت لناظريه فى شكل السيد (عادل بشير) ، بملابسه التى كانت أنيقة ، شاهرًا سلاحًا من أسلحة الخاطفين فى ظهورهم ، وخلفه سكرتيرته التى عادت إلى الداخل فى وجل !

سقطت ثلاثة أسلحة فوق أرضية الطائرة ، و ...

- استديروا ببطء .. ببطء ..

استدار (عزت) وقد احتقن وجهه الأسمر ، قائلاً وقد كاد يقضم شفتيه من فرط الغيظ :

- أنت ؟!

وغمغم (توم) فى حنق :

- (الديك الرومى) ؟!

وبجرأة وضيق هتف (جى) :

- سحقًا لك ..

فى حين لم ينطق (بل) كعادته بكلمة ، وظل متدثرًا بصمته الخالد ..

اتخذ (عمر) جانب السفير بسرعة ملتقطًا سلاحًا من على الأرض ، وهو يقول فى سره :

- وعلى الباغى تدور الدوائر !

وقال السيد (عادل) مجيبًا عن سيول الأسئلة التى ارتسمت فى الأعين الشاخصة :

- أنت المخطئ هذه المرة ياسيد (عزت)، أيها الزعيم الهمام ، خطأ فادح لا يغتفر .. فقد تركت سلاحك داخل الكابينة وتركتنى معه وحيدًا ، فاستخدمت قداحتى لفك الحبال .. لم يكن الأمر يحتاج سوى قليل من الإرادة وكثير من اللياقة التى يتمتع بها رياضى نشط مثلى ..

صفر (عمر) هذه المرة قبل أن يقول فى استفزاز مخاطبًا (عزت) أيضًا :

- خطأ فادح بالفعل ، كان الأجدر بك أن تدرس التفاصيل الدقيقة حتى لا تفلت منك أمور تافهة كهذه !

برز فكا (عزت) بشدة من فرط ضغطه على أسنانه ، والتقت فوق وجهه أنظار رجاله وهو يقول فى برود لا ينم أبدًا عما يعتمل فى داخله :

- والآن ؟!

أجابه (عمر) ممعنًا فى استفزازه :

- لا شىء .. مهمتكم فشلت ، ومهمتى نجحت ، هذا كل ما هنالك !

وفاجأه صراخ (عزت) :

- كلا ..

واندفع بحركة مباغتة نحو السفير مطيحًا به إلى الخلف فسقط أرضًا ، واستدار نحو (عمر) الذى لم يجد الوقت الكافى ليدير نحوه سلاحه ، بل وسقط منه أرضًا ..

- أنا لا أهزم بهذه السهولة ..

حاول (عزت) أن يطوق ذراعى (عمر) من الخلف ، لكن الأخير قاوم بعنف ، بينما تحرك الرجال الثلاثة فى وقت واحد ..

- (بل) .. عليك بجهاز التفجير .. فجّرها أيها الـ (جمال الـ ...

وبتر عبارته عندما اخترقت الرصاصات ظهره ، فخر جثة هامدة على الفور ..

- أنت يا سيادة السفير ؟!

غمغم بها (عمر) وهو يحدق مندهشًا فى السيد (عادل) الذى لم تفت السقطة فى عضده ، فأطلق الرصاصات فور اعتداله ..

ولم يكن هناك ثانية واحدة لتضيع فى وجود ثلاثة من الإرهابيين الذين بدءوا فى العمل على الفور مستغلين الهرج ..

بنظرة واحدة تفاهم (عمر) والسيد (عادل)، وتفرقا ..

اتجه (عمر) نحو (بل) الذى ركض نحو جهاز التفجير القابع فى ركن قريب ، وانقض عليه من الخلف ـ فجأة ـ ليفقد توازنه ويسقط أرضًا وفوقه (عمر) ..

واستدار (بل) بغتة فى سقطته ، وبكل قوته وجه لكمة فى وجه (عمر) ألقت بالأخير للخلف ، لكنه عاود الانقضاض عليه مرة أخرى دون يأس ..

أما (توم) فقد حاول استغلال الموقف ليلتقط السلاح الساقط قريبًا منه ، لكن السيد (عادل) فاجأه بانقضاضة راكضة صارخة ..

وحدث الارتطام ..

ولأن (توم) هزيل للغاية ، فقد تدحرج فوق الأرض بفعل قوة الصدمة ، نحو البوابة المفتوحة ، ويده مازالت تقبض على سلاحه ..

وبرغم أن السفير ركض نحوه ليمنعه من السقوط ، إلا أنه لم يكن منه مفر ..

وتصاعدت صرخة (توم) وهو يمد يده صارخًا إثر سقوطه فى الهواء ، لكنه كان يسقط بالفعل ، وما من أحد كان يستطيع مساعدته ..

لن ينسى السيد (عادل بشير) هذا المنظر أبدًا بقية حياته ؛ منظر سقوط (توم) من الطائرة ؛ هذا إن كان هناك فى حياته بقية !

فقد طوق (جى) الدموى صدره من الخلف ، وبدأ يعتصر فيه ..

ـ سأقتلك بيدى هاتين ، ودون سلاح !

هتف بها (جى) وهو يدفع سلاحه للسقوط بقدمه عبر البوابة ..

وأخذ يعتصر دون رحمة ..

وفى نشوة دموية غريبة ..

وأطلق الرجل صرخة ألم رهيب ..

تناهت الصرخة إلى مسامع (عمر) المنقض فوق (بل) ، فنظر نحو الباب ورأى المنظر ، وتلقى لكمة أخرى فى وجهه ، أكثر قوة من الأولى ..

وبدا أن الحمل كله ملقى الآن على عاتق (عمر) ..

(عمر) وحده ..

وانقض على (بل) الساقط ـ قبل أن تواتيه فرصة النهوض ـ للمرة الثالثة ، وكال له لكمتين متتاليتين ، وتلقى لكمتين متتاليتين ..

لكنه لم يكن مستعدًا أبدًا للهزيمة ..

ليس ومصير كل الركاب الذين يجهلون بما يجرى هنا دون شك ..

بكل ما فى كيانه من طاقة ضم قبضتيه ، ووجه

بهما لكمة ساحقة فى وجه (بل) ، خر بعدها الأخير مغمض العينين ، كأنه (جمال نائم) بالفعل ، مع التحفظ التام على اللفظة الأولى ..

ونهض بعدها (عمر) وقد اخترقت أذنيه صرخة أخرى مفعمة بالألم ..

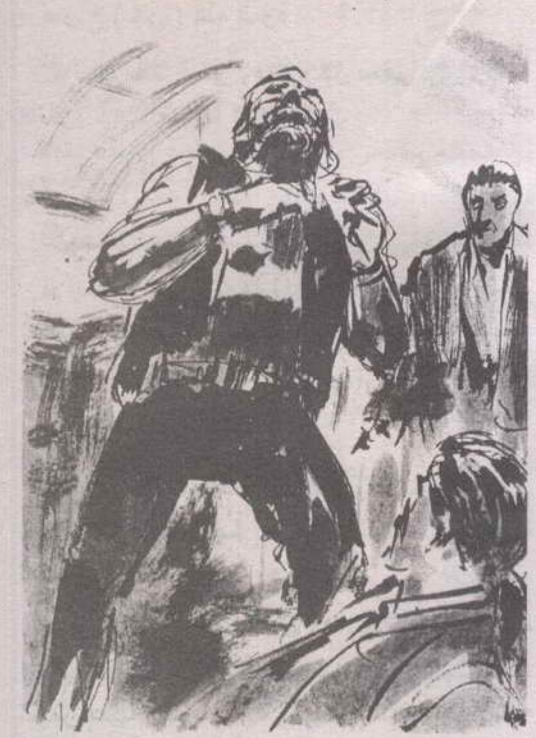
صرخة السفير الذى مازال (جى) يعتصر صدره بذراعيه ، حتى كادت ضلوعه تتحطم ..

بحث (عمر) عن سلاحه الذى سقط منه دون جدوى ، لا يوجد سوى سلاح واحد فى يد السفير ، يبدو أن (جى) قد تخلص من كل الأسلحة الأخرى قبل أن ..

لاوقت ، السفير مازال يصرخ مستنجدًا فى ألم ..

اندفع (عمر) بكل ما تبقى لديه من قوة واصطدم بـ (جى) ، لكنه ارتد عنه فى عنف كأنما اصطدم بحائط مبطن بمادة مطاطية !

ضحك (جى) الدموى فى نشوة ، وواصل عمله على



ومرت ثانية ، ثم ....
علا الصراخ الذى لا يكفى نعت (رهيب) أو ما يماثله لوصفه ..

خير ما يكون بدليل صراخ السفير الذى يزداد علوًا وتألمًا ..

لن يصلح شىء مع هذا الحائط ..

لن يصلح شىء أبدًا ..

إلا ....

.. وبرقت الفكرة فى رأس (عمر) فجأة كالإلهام ..

وبمنتهى السرعة سارع ينفذها ..

انتزع قنابل (الحرباء) الأربع الملتصقة بقميصه ..

اندفع نحو (جى) ..

ألصق قنبلة بملابسه ، وألقى بالثلاثة الباقين فى أماكن متفرقة مغمغمًا فى رجاء :

ـ هيا يا (دينا) ، كونى يقظة يا فتاة ..

ومرت ثانية ، ثم ..

علا الصراخ الذى لايكفى نعت (رهيب) أو ما يماثله لوصفه ..

صراخ (جى) هذه المرة ..

لقد سقط مفلتًا السفير ، وتكوم كتلً صغير فوق أرضية الطائرة ، أمام البوابة المفتوحة ..

ـ رائع يا فتاة !

لكن ..

لم يسعد (عمر) بمهارتها كثيرًا ، فقد رأى السيد (عادل) يسقط على حافة البوابة ، ويتدلى جسده خارجها على نحو مباغت ، ثم ..

ـ النجدة .. سأسقط ..

صراخ رعب هذه المرة من حنجرة السفير ، الذى تدلى جسده بأكمله خارج الطائرة ، فقط يداه كانتا تمسكان بحافتها السفلية ..

هرع (عمر) راكضًا نحوه ، وجثا على ركبتيه وهو يفلت إحدى يدى السفير من إمساكها بالحافة ، ليقبض عليها بقبضته ، حتى يجذبه للداخل ، وقبضته الأخرى متعلقة بالحافة الجانبية للبوابة ..

ـ تماسك يا سيدى ..

صاح بها (عمر) ، وجاهد السفير ليستند على مرفقيه مقاومًا الجاذبية ، لكنه بكل أسف أفلت قبضته الأخرى من الحافة ، وصرخ رعبًا عندما وجد جسده متعلقًا فى الهواء ، فقط قبضته فى قبضة (عمر) الذى يفعل المستحيل حتى لا ينجذب هو للسفير ويسقطا معًا ..

وبدأت كفة الجاذبية ترجح ..

عندما ..

ـ أعطنى يدك الأخرى يا سيدى ..

ـ (مى) ، ساعدينى ..

هتف بها السفير المعلق فى الهواء عندما رأى سكرتيرته تبرز بجوار (عمر) عارضة المساعدة ، بقولها فى لهجة عملية باردة :

ـ سأجذبك للداخل ، أنا سكرتيرة السفير الخاصة !

قالتها لـ (عمر) وهى تمد يدها ، فى حين تعلقت ذراعها

الأخرى بحاجز معدنى يبعد عن الباب بمسافة تقل عن المتر ، فقال محذرًا :

- أى خطأ يعنى سقوطنا جميعًا ..

- لا تخشى شيئًا ، أنا بطلة ألعاب قوى سابقة !

قالتها ، وأفلت (عمر) يده القابضة على حافة الباب الجانبية ليمسك بيدها على الفور ، وتعجب بينه وبين نفسه من صلابتها !

- تماسك ياسيدى ، سنفعلها بإذن الله !

وبكل قوته جذب (عمر) ، وجذبت (مى) ، وانجذب السفير ..

ورويدًا رويدًا سحبه للداخل ..

وسقط الاثنان بعد دقيقة كاملة من الجذب يلهثان ..

(عمر) ، والسيد (عادل) ..

- أنقذت حياتى ، الشكر لك ..

قالها السيد (عادل) لاهثًا ، فاعتدل (عمر) على الفور قائلاً بلهاث أشد :

- ليس لى وحدى ، سكرتيرتك شاركت بالنصف !

وأشار إلى (مى) الواقفة بصلابة مبتسمًا فى إرهاق ، ثم اتجه من فوره إلى كابينة القيادة ..

- إلى أين ؟!

- الطائرة فى حاجة إلى ربّان ، وإلا هلكنا جميعًا ..

واختفى عند الممر ، بينما أغلقت (مى) بوابة الطوارئ ، وغمغم السفير الذى لم يجد فى نفسه القدرة على الاعتدال واقفًا :

- ليحمك الله يا فتى ..

وفى كابينة القيادة ، حمل (عمر) جثة الكابتن (جميل طايع) بكل إجلال وإكبار ، ونحاها جانبًا عن مقعد القائد ، ليمددها أرضًا ويغلق جفنيها قارئًا الشهادتين والفاتحة .. ثم اتخذ مقعد القيادة على الفور ..

وعبر الزجاج الأمامى ، ظهرت الجبال القريبة إلى حد مخيف ..

ـ لنتذكر الآن مبادئ القيادة فى المناطق الجبلية .. هيا أيها الطيار القديم !

وأنهى عمل الطيار الآلى ، متابعًا :

ـ الطيران على ارتفاع مناسب ؛ هذا لن يصلح للأسف ..

وأمسك بالمقود ..

ـ المناورة السريعة ، هذا أيضًا لن يصلح بطائرة ركاب عملاقة كهذه !

ومال بالمقود يسارًا تحاشيًا لقمة أصبحت قاب قوسين أو أدنى من مقدمة الطائرة ، وبدأت الطائرة تطاوعه ، ولكن ..

ـ هيا ، تصرفى كطائرة مقاتلة باللَّه عليك !

القمة الجبلية تقترب ، وتقترب ..

والطائرة تميل ، وتميل ..

ابتعدت المقدمة عن مجال التصادم ، ولكن ..

ـ الجناح !

هتف بها (عمر) فى توتر ، ومال بالمقود حتى زاوية خطرة ، لكن .. لم يكن هناك مفر من أن يحتك الجناح بالقمة ليصدرا صوتًا رهيبًا ، وفزعًا جماعيًا بين الركاب المرتعبين أصلاً ..

لكن (عمر) تنفس الصعداء ، المحركات تعمل واتزان الطائرة لم يختل بحسب أجهزة المتابعة .. هذا معناه أن الجناح سليم بحمد اللَّه ..

وبدأ (عمر) فى السيطرة على المقود من جديد ، عندما فوجئ أمامه بمرتفعين شاهقين بينهما ممر ضيق للغاية ..

المسافة لن تكفى للارتفاع بالطائرة فوق المرتفعين ، ومعنى هذا ببساطة أن عليه العبور من المضيق ، ومعنى هذا ببساطة أيضًا أن الطائرة ستعبر المضيق ؛ ولكن بدون جناحين !

ـ يا للكارثة !

غمغم بها (عمر) وهو يضيق عينيه ، ثم برقت الفكرة فى رأسه بمنتهى السرعة عندما تذكر مناوراته الحربية فى أثناء الكلية ..

ـ نعم ، لابديل عن هذا مهما تكن المخاطر !

ورفع المذياع ليتحدث عبره قائلاً :

ـ السادة الركاب ، الطائرة الآن تحت السيطرة المصرية الكاملة ، تم القضاء على الخاطفين والطائرة فى طريقها الآن إلى مطار (اسطنبول) ..

سادت الهمهمات متفائلة ومتشككة بين الركاب ، وتبسم السفير وهو يفك بمساعدة سكرتيرته اللاصق عن فم الأصلع والرياضى ، لكن (عمر) أكمل على الفور :

ـ كل ما نرجوه منكم الآن الجلوس فى المقاعد بهدوء ، ربط الأحزمة ، الامتناع عن التدخين والاستعداد لأى طارئ .. رجاء الالتزام بالتعليمات الآن على الفور ..

ووضع المذياع قابضًا على المقود بكلتا يديه ، فى حين أسرع الركاب جميعًا يمتثلون وهم يتساءلون فيما بينهم عن كنه هذا الطارئ المرتقب ..

قبض (عمر) بيديه أكثر على المقود ، ومن بعيد ، من داخل مروحية تتابع الطائرة عن كثب ، وضعت (دينا) يدها على صدرها وهى تهمس فى وجل :

ـ ستصطدم لا محالة !

واقتربت الطائرة من المرتفعين ..

واقتربت ..

واقتربت ..

ـ رباه !

ورفعت (دينا) راحتها من صدرها إلى عينيها ، متوقعة سماع صوت التصادم ..

وداخل الكابينة ، أدار (عمر) المقود فجأة بزاوية قدرها ٩٠° ، لتدور الطائرة حول محورها ، ويتعامد جناحاها ، وتعبر المضيق بين المرتفعين طوليًّا ، لتنشأ بعض الخدوش فى جسمها والجناحين ، ويغشى على بعض الركاب ، بينما يكتفى البعض بالقىء أو الدوار العنيف ..

عبرت الطائرة المضيق ، وعاد (عمر) بالمقود إلى وضعه الطبيعى ، وعيناه تلتهمان أجهزة المتابعة فى نهم ..

ـ غير معقول !

قالتها (دينا) فى ذهول إذ رأت الطائرة تعتدل بعد إذ عبرت المضيق ، وخلع قائد مروحيتها السماعتين عن أذنيه ليصيح بها فى حماس شديد :

ـ قائد هذه الطائرة مجنون .. وبارع !

وابتسم (عمر) فى النهاية ، عندما شاهد المحركات تعمل واتزان الطائرة لم يختل بحسب أجهزة المتابعة ..

المنطقة التى أشرف عليها تتيح الارتفاع البطىء لأعلى، عليه الآن أن يرتفع ويضبط وجهة الطائرة إلى ...

ـ السادة الركاب ، نأسف لإزعاجكم .. لكننا نعدكم بأنها المرة الأخيرة ، فالطائرة تتجه الآن بحمد الله وتوفيقه إلى مطار (اسطنبول) .. ومنه إلى (القاهرة) !

واسترخى فى مقعده مشغّلاً الطيار الآلى ، ومراقبًا أجهزة المتابعة التى أشارت لارتفاع الطائرة ، وارتفاعها .. وارتفاعها ..

حتى أصبحت فوق السحاب ..

* * *

٨ ـ من يدفع أجر العازف ؟!

على الشاشة ظهرت صور ركاب الطائرة (نفرتارى) وهو يهبطون ، على وجوههم أقصى علامات التعب والإرهاق والصدمة ..

ـ وكعادتها ؛ سباقة فى قلب الحدث ، نقلت لكم الـ (فى . بى . سى . نيوز) وحدها أحداث انتهاء حادث اختطاف الطائرة المصرية الذى استغرق بضع ساعات ، وهبوطها أخيرًا فى مطار (اسطنبول) .. التصريحات المصرية والتركية على حد سواء تشير إلى استسلام الخاطفين ، لكن علامات الاستفهام تظل قائمة حول هويتهم ، وحول إصرار السلطات فى البلدين على ترك الأمور الخاصة بالخاطفين فى نطاق الكتمان التام ..

وتظهر بملامحها التى تنتظرها الجماهير دائمًا على الشاشة ..

ـ .. كانت وستظل معكم دائمًا (كارلا روبرتس) ..

ويحل محلها مذيع رصين يجلس أنيقًا داخل الاستديو ..

ـ كان هذا تسجيلاً للتقرير الذى أعدته (كارلا) من (اسطنبول)، وبينما تستعد السلطات التركية لترحيل الرهائن بعد ساعات من الراحة إلى (القاهرة)، يعقد وزير الخارجية المصرى مؤتمره الصحفى الثانى فى غضون ٢٤ ساعة، ويبدو هذه المرة واثقًا متحديًا على عكس ما رأيناه فى المؤتمر الأول ..

وتنقل عدسة التصوير مقتطفات من المؤتمر ..

ـ سيادة الوزير، مامصير الجاسوس المصرى الآن ؟!

ـ الجاسوس المصرى يقضى العقوبة المقررة له داخل السجون المصرية !

ـ لكنكم قلتم إنكم سوف تسلمونه للخاطفين !

ـ لقد استسلموا وحدهم قبل أن نفعل !

ـ وماذا عما رآه العالم على شاشة الـ (فى . بى . سى . نيوز) من وقائع تسليم الجاسوس فى مطار (لارنكا) ؟!

ـ هذا لم يحدث، من الممكن أن تكون مجرد فبركات صحفية استخدموا فيها حيل الجرافيك المتقدمة، وعمومًا .. على من يدعى أننا فعلنا أن يقدم الدليل، والدليل الذى لدينا هو وجود الجاسوس فى قبضتنا بالفعل، يستطيع أى منكم زيارته لو أراد !

ضغط الرجل ذو الأنف الطويل والعوينات الدائرية والقميص ذى الخطوط الطولية وحمّالات البنطلون العتيقة زر إطفاء الشاشة فى جهاز التحكم عن بعد الذى يمسك به، واستدار إلى (كارلا) الجالسة أمام مكتبه فى تحفز ..

قالت :

ـ أرى أنكم لم تذيعوا شيئًا من شريط هبوط الطائرة على أرض مطار (اسطنبول) ..

ابتسم قائلاً فى ود مصطنع :

ـ لست أنا الذى أقرر السياسات الإعلامية كما تعلمين يا جميلتى !

ضيقت عينيها ونظرت إليه قائلة ، وهى تجاهد لكبح جماح ثورتها :

ـ وبالطبع لم يوافقوا على فكرة البرنامج ..

قال بنفس الود المصطنع :

ـ فى الحقيقة ، بلى !

دقت على سطح المكتب وقالت بغضب مريع :

ـ لكنكم تضيعون علىّ ضربة إعلامية فى الصميم .. إن أحد الهابطين من الطائرة ضابط أمن مصرى تعاملت معه بنفسى فى مهمة بـ (لندن) ، وقد صوره (جيمس) وأعددت أنا تقريرًا مطولاً عن دور الأمن المصرى فى التعرض للخاطفين ..

تنحنح وقال باسمًا فى مكر :

ـ الصورة لم تكن بهذا الوضوح يا عزيزتى !

نهضت وصاحت فى وجهه :

ـ ما الذى تريد قوله يا (إيفان) ؟! أعرفك عندما تبتسم هذه البسمة الكريهة !

لوح بكفيه فى وجهها وهو يقول مهونًا :

ـ لاشىء يا عزيزتى ، لاشىء ..

استدارت لتغادر مكتبه وعلى وجهها أقصى أمارات الاكفهرار ، وتوقفت بغتة عندما أتاها حديثه من خلفها ، بنفس نبرته الهادئة الماكرة المصبوغة بالود :

ـ لن أقول لك أكثر من عبارة واحدة ؛ إنه مثل إنجليزى شهير على ما أعتقد ..

لم تكن تود أن تستدير ، بل وبلغت الباب بالفعل عندما قال :

ـ (من يدفع أجر العازف ، يختر اللحن ..) !

استدارت نحوه بغتة كالملدوغة ، فرأته كما هو ، نفس الابتسامة والهدوء القاتل والعينين الماكرتين خلف العوينات الدائرية ..

ـ هذا حدث وانتهى ، أنصحك الآن بالذهاب إلى دولة من دول العالم التى تعج بالأحداث الساخنة ، انتقى واحدة ، وابحثى فيها عن خبطة أخرى ترفع من قيمة أسهمك فى بورصة نجوم الإعلام ..

وأردف :

ـ مجرد رأى شخصى ، ونصيحة مجانية !

غادرت مكتبه دون أن تعى حرفًا مما قال فى النهاية ..

فقط المثل الإنجليزى الذى قاله كان يدوى فى رأسها ..

* * *

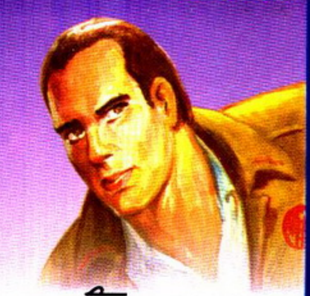
[تمت بحمد الله]

عملية
فوق السحاب

السؤال الأول : ما هى العلاقة بين قضية جاسوسية شهيرة . وحادث اختطاف الطائرة الذى أصبح شهيراً ؟!

السؤال الثانى : كيف يمكن لـ (عمر زهران) أن يقوم بمهمته هذه المرة فوق السحاب ؟!

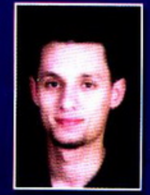
السؤال الثالث والأخير : من يدفع أجر العازف ؟!



الثمن فى مصر ٢٠٠

وما يعادله بالدولار الأمريكى

فى سائر الدول العربية والعالم



محمد سليمان عبد المالك

المكتب 17
إدارة المهام الخاصة

****

سلسلة روايات عصرية للشباب حافلة بالمغامرة والإثارة والتشويق



العدد القادم

عملية لعبة الهلاك